الد يوان الأول

المسافـــر

فى سنبلات الزمن

شعر

الدكتور

صابر عبد الدايم

القاهرة – 1982م

الإهداء

إلى زينب

صوت الواقع الصادق

وإلى تيسير

صوت النبوءة الواعد

وإلى كل الأصوات العائدة من مدن الحلم

المسافرة فى سنبلات الزمن

" صابر عبد الدايم "

الزقازيق – 1982م

الهوية

اسمى : صابرْ

عمرى : سنوات الصَّبار جهلتُ بدايتَها

أو حتى كيف تسافرْ

بلدى : مصرُ – القريةُ – والموال الساخرْ

والمهنةُ : شاعرْ

وهواياتى : فكُّ الأحجبة وهدم الأسوارْ

والبحثُ عن الخصب المتوارى خلف الأمطارْ

والتنقيب بصحراء النفس عن الآبارْ

وقراءةَ ما خلف الأعين من أسرارْ

يوليو 1977

المسافر فى سنبلات الزمن

كنت وحدى والتواريخُ وأمشاج الليالى

فى ظلام الرحم الكونـيِّ تنمو وتُشَكَّلْ

كنت وحدى وبعَرْش الله آفاقى تُظَلَّلْ

واندلاعُ السر من جوفِيَ كان الصرخة الأولى لطفل العنفوانْ

كان فى البدء ولا زال تُروِّيه الدماءْ

طالما أسقيه ذاتى وأنا سِرّ البقاءْ

راحلاً عنه لألقاه وأحيى فى بواديهِ النماءْ

وتفتحتُ بعينيه زهورا ونبوءاتٍ

...وأمطارا وجَناتِ إباءْ

أغرقت كل الجبال الشمِّ خيلى

وامتطاها المؤمنونْ

رفرفت أجنحة الخيل على وجهى ...

...فغاضت ثورة الطوفان...

...هبت نسمة الله وغاض الجاحدونْ

كنت صدرَ الأمِّ للطفل السجينْ

طالما هَدْهَدْتهُ وهْو بمنفاه...

...بعيدا عن أناشيد الحنينْ

كنت كرسَّي الطفولةْ

وأنا جسرُ الرجولةْ

وأنا المعبرُ والقبرُ وكنزُ العارفينْ

وأدت خيلى غرور المعتدَين

أغرقت كل المرايا والخيالات المهينةْ

وهفَتْ للنغَم الصاعد من عمق السنَين

طائرا بالحوت من جب الأمانى المستكينةْ

فإذا الحوتُ ينابيعُ خلاص وحقيقةْ

والتسابيحُ أمانيه الطليقةْ

هكذا كنتُ...

...وما زلت سحابَا وحدائقْ

صاعدا فى سنبلات الزمن الناخر أصلاب التكائرْ

هابطا تحت الجذور السالبات الأرض أحلام البراءةْ

راحلا فى الصخر تحدونى الجسارةْ

ملقيا فى قبضة النيران ذاتى

فإذا النيران فى ذاتى اشتهاءٌ ووضاءةْ

ناصبا عُرْس السماوات بقاع البحر فى خصب المواسمْ

بانيا كل الحضارات التى فوق ضلوعى

شَيَّدَتْ كبرى الملاحمْ

مانحا للظل أرواحا نديَّات المعالمْ

ساقيا قلب البراكين بثورات المناجمْ

فاتحا كل المدائنْ

مغرقا فى مد آفاقى خيال الشعراءْ

واهيا فجر النبواءت الضياءْ

عائدا

واللؤلؤُ المكنون فى خطويَ برقٌ وانتشاءْ

والمجاديفُ تشقُّ الصدرَ منِّى

وأنا أعْلو وأعلو فوق سنى

لا ينال الزمن الفاتك مِنِّى

فهو بعضى وأنا الكلُ الذى يَغْفَل عنِّى

كلما جدت بدَن وُلدت لى ألف دَنِّ

والمفازاتُ تناجينى وخيلى لم تخُنِّى

ورؤى قلبى لمجدافى تغنى

فى وعودى لا أمنى

كل ما ألقاه يجنى الخير مِنِّى

وأنا أسقيه ذاتى

وهو يسقينى التمنِّى

الزقازيق 6/8/ 1981

إيقاع الزمن القَادِم

صوتكِ ينشلنى من قاع الجب

يحملنى فوق جواد الريح (لواق الواقْ)

يسقينى صوت الحق السارى فوق جناح الرؤيا

يرفض أن تتشرنق فى أفراح اللقيا...

...أصداءُ الكذب السائلِ من ثوبى المصبوغ

...بزيف دماء الذئبْ

يَفتَحُ كل خزائن هذا العالم بين يديّ

يَكْشفُ ما خلف رؤايَ من الآفاقْ

يزرع ظلك فى تربة قلبى...

...فَتُحَلِّق كل الأكوان بجْفَنيْ

يجعل ليل رؤاى حدائق ضوء أنصع من " فلق الصبح "

يأتينى من خلف الجدران فيؤنِس وحشة روحى

وأنا فى سجن يقينى وعفافى وإبائى وجموحى

أنعَمُ بالقيد الحر ، وأرفض تاجا ينسجه الشيطانْ

أن أمْشيَ فوق السيف وأقطع بالسِّكين يديْ

أهْونُ عندى

من كرسيٍّ كالحرْبةِ مغروس فى صدرِ الإنسانْ

وأتانى صوتُكِ فى خطو القادمِ يستفتينى...

...فى سِرِّ البقرات السبع

يعلن أنى بعد الإفتاء طليقْ !!!

هل تبتلع البيداء الفيضانْ ؟

هل تَتشَرَّبُ ' ماء البحر ' الشطآن ؟

هل تغتال طفولة أفراح العمْر الأحزان ؟

هل تأكلنا سنواتُ الجدب...

...وتسْرِق من أعْيننا الألوانْ ؟

هذا صوتِك يغمرنى ... يستر عمرى العريانْ
يأبى أن أُخرِج من ذاتى عرافا تحميه نبوءاتُهْ
أن أحمل للسطان بشارات العهد الآتى
وتبعثرنى إن شذَّبْتُ أوامرَه إنذاراتُهْ
تقذفنى – إنْ كُنْتُ صدوقاَ – فى الجبِّ...
...كالبرق الغارب فى موج الآفاق
يأبى صوتكِ أن أفلت من قيدى
وأظل أجدف فى أغلال الإثم سجينا
كل موانى العالم تطردنى
ونبوءاتى للسلطان – إذا كذَبَتْ – تتقاذفنى
وغدوتُ ببادية السجن طليقا
أضغاثُ السلطان تلاحقنى
وأنا جددْتُ رؤَى من قذفونى خارج دائرة البررةْ
وأتانى صوتكِ من عين " زُليخا "
ببكارته لوَّن دربَ حياتى
فعدوتُ بقلب القصر طهور الخطُوات

أفتح للدنيا جنات خزائن حبى

أسقى المفترقات رحيق الوحدة من قلبى

وأُجَمِّع كل الأبعاد بشعبى

ورأيت ندواة صوتِكِ فى بَحة صوت الضعفاء

(تالله لقد آثرك الله علينا)

(تالله لقد آثرك الله علينا)

وتلاشت كلُّ الأصوات الغائمة من الساحة

لم يبق سوى صوتكِ...

...ينشلنى من قاع الجب

يسقينى صوت الحق السارى فوق جناح الرؤيا

يجتاح سدود الغيب

يفتح كل خزائن هذا العالم بين يديّ

يزرع ظلك فى تربة قلبى...

...فتحلق كل الأكوان بجفنيّ

الزقازيق أول يناير 1982

إشراقات
من سِفْرِ التكوين والنبوءة

غامت فى عينى موسى الرؤيا

وتلاشى لون الأشياء

حَمَل الكَوْنَ على كفيه وسافَر فى التيه

الريحُ تَمزق كل الأصوات

تصطك الأشواقُ وتختنق الآهاتْ

تبتلع البيداء مقاومة النهر المتدفِّق

...فى أعماق الصخْر وفى يَبَسِ الأصداء

النارُ تَمُد شراعَ رجاءْ

موسى فى قلب الظلمة يعدو

فالنارُ – الوعد – نجاةٌ وسماءْ

كانت فى البدء ولا زالت فى القلب...

...تَصُدُّ وتحْرِقُ كل الأقذاءْ

والنارُ تنادِى

(اخلع نعلَيْكْ)

إنك فى أقدسِ وادى

وافتح عينيكْ

واشهدْ فى أعماقى خُضرة أعْوادى

يتلاشى موسى فى الكل وَيرْحَل فى عين الأشياءْ

هذى يده السوداء

فى لحظة عشقٍ خارج دائرة الزمن المحدود

صارت من غير أذى بيضاء !!!

وعصاه الصماءُ ... البكماءْ

تتلوى ... تتمدد ... تبتلع غرور الطين...

...وفرعون بجذع النخلة يَصْلُبَ كل الشرفاء !!!

قالوا : (لن نؤثرك على ما جاء)

رقصوا فى قلْب النار...

...وموسى يقطف من عين الشمس الأسرارْ

لكنْ لم تَنبُتْ فى كفَّيْه الأقمارْ

وعصَاه تَشُقُّ البحر وتْجهَل لغة الإبحار !!!

لم تدركْ أين الحوت الهارب من ذُعْر الأضواء ...

...إلى أَمْنِ الظلمة فى القاعْ

موسى مسجون فى قلب فضاءْ

الريح تحاصره وتحاوره الأنواءْ

خمدت فى عينيه النار وجف الإيقاع

والدنيا أضيق من ثقب الإبرة

وعصاه الأفعى والمعبر

تحتضر بعينيها الفكرة

وعلى قمة يأس معشوشبةٍ بالأسرار

تتوهج زهرةُ نارْ

يقترب على وجل فيرى وجها يقرأ : باسم الله

شيخ لا يملك من دنياه...

... سوى قلب متسع للملكوت !!!

عيناه مسافرتان

ويداه مقفرتان

لكنهما مفعمتان

بعطاء تخطر فى ظل حدائقه الأكوان

موسى يغدو بذرة شوق...

...فى حقل الفقراء المفعم بالصدق الأخضر

ويناجى الشيخَ الأسمرْ

أريد أن أعلم

كنه الذى يجرى

يا ليتنى أفهم

ماذا حوى صدرى !!

يا شيخ عرفنى

حديقة السِّرِّ

لا تبتعدْ عنِّى

عَنْ نبعى الثر

– زَوِّدْ نفسَكَ للرَّحْلةِ ... أحْكِمْ سفنك فالبحرُ عميقْ ! ! :

***ما الزاد ؟ وأين ؟ وكيف ؟**

– النهرُ الراكدُ لا يَعْرف مجراه ولا أين يصبْ ! ! !

جَدِّدْ ذاتك – واعرفْ كيف يَقُود خُطَاك إلى الحَق الربْ

اخْلعْ عيْنيك لتُبْصرَ ما خلف الأسْوارْ

مزقْ جلدك...

...واسبح فيما لا تدركه الأبصار

فى زمن العتْق ستخضر بعيْنيك بوادى الأسرارْ

– لا أدْركُ أبعادَ الزادِ ...

... ولا منعطفاتِ طريقى المغمورِ بغيمِ التذكارْ

– جَرِّبْ

واستشهدْ آلاف المراتْ

فعسى أن تدرك ما اشتقتَ إليه كثيرا

وأرقْتَ العُمْر...

... على الدرب المفروشِ بنارِ رؤاه طويلا

ليبيا – البيضاء – 1979م

قافلةُ الغرباءْ

﴿ إلى رسول الإنسانية

محمد بن عبد الله

الرحمة المهداة ﴾

أحْمِلُ فى شريانى الحب أجئُ إليكَ على استحياءْ

يا من أشرقت علينا بشريعتك الغراءْ

أدعوك فأنت سقيتَ كيانى معنى البَوْح وسِر الإفضاءْ

لا أجزيك الأجر بمدح فالمدح لمن يَقْبُله إعلاءْ

أدعوك فهل أنتِ مجيبٌ للقلب دعاءْ

ألهمنى سِر الوجد فأنتَ بأرْض العشاقِ سماءْ

وأراك أتَيتَ إلى العالم فى قافلة الغرباءْ

ولأنكَ أدركْتَ الجوهرَ فى عُمقِ الأشياءْ

وتساقيتَ رحيق الحَق من العلياءْ

صارت خطواتك فوق الأرْض ضياءْ

صارت كلماتك آفاقا للشرفاءْ

والعالم سِيق إليها زُمراً زُمراً تغمره الآلاءْ

لم توصَد أبْوابُك إلا فى وجْه الشعراءْ

فالشعر العربيّ انتحر على أبْواب الأُمرَاءْ

والشعراءُ تراموا بنبال الحَرف العمياءْ

واقتتلوا فى ساحات الكلمات الجوفاء

" يلقون السمع وأكثرهم " مداحٌ هجَّاءْ !!!

وتهاووا ... كل مغروس فى عيْنيهِ سهامُ رياءْ

وعلى الأرض قوافيهم برزت كالأحشاءْ

ما وهبت للعالم كلُّ بحورِهمُ قطرة ماءْ

وسفائنُهم فى الزيف تجدف "فالدولار" هو الميناءْ

" ما يأتيهم من ذِكْرٍ من ربهمُ " وضَّاءْ

" إلا استمعوه وهمْ " والصخْرُ سواءْ

وجواد الشعر يسابق ظل الريح بَقلْب البيداءْ

لكنْ يكبو ويخر غريقا فى كأس النُدماءْ

تَشرب من دمه الأسماعُ فتَغْدوا أحجارا صماءْ

وتحدِّق فى أطلال بقاياه الأعينُ وهْي حُروفٌ بكماءْ

فالشاعرُ تصْنَعُه فى عالمنا رغباتٌ رعْناءْ

والشاعرُ إذْ يصدُق تَقْتُلهُ كلماتُ السفهاءْ

والشاعر إذ يشرق تَخْنقُه ظلُماتُ الجهلاءُ

والشاعرُ إذ يَسبح تْبلعهُ حيتانُ البلهاءْ

والشاعرُ إذ يتمرد يُسْجَن فى قافية الجبناءْ

* * *

والشاعرُ عندكَ يا من جئتَ بملتك السمحاءْ

حطَّابٌ يَحْمل فأسا فى الصحراءْ

يجْرى فيها الأنهار وينسج للعريان كساءْ

والشاعرُ سلطانٌ

يَحْمل فوق الظَّهر إلى الأطفال غذاءْ

سيفٌ مسلول فى وجَه الأقذاءْ

قَلْبٌ بأذان الحَق خفوق

يورق بالأمل الوضَّاءْ
لا يَحْرِقُهُ الجمرُ الملقى فوق الأنداء
والشاعر صديقٌ
يَنْزِع سيف الردة من ظِل الأعداءْ
يجعل ملك المتنبِّى فى طوفان الريح هباءْ
ويطارد جيشَ ' مسيلمة الكذَّاب ' بكلِّ الأجواءْ
من فوَّهة الموت يجئُ يُشيِّدُ ملْحمةَ الشهداءْ
ويقيم من الجثث العابرةِ زمان الوهم جَسور بقاءْ
يصرع جبلَ الباطل يجعله سفْحًا من أشلاءْ
يمسخ شيطانَ النقمة يجعله بعضَ دماءْ
والشاعرُ كونٌ مفتوح
ينبُتُ فى خضرته البسطاءْ
الشاعرُ ظِلُّ نَبيٍّ .. ونبوءاتٌ تَقْتحمُ الأرْجاءْ
هل يفهم هذا الشعراء ؟!!
هل يفهم هذا الشعراء ؟!!

غرة ربيع الأول 1403
الزقازيق 1982/112/16م

الفزع الأكبر

قال تعالى :

﴿ وَٱلطُّورِ ﴾

﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴾

﴿ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾

﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾

﴿ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴾

﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾ (1)

سورة الطور: الآيات من (1– 6)

---

(1) هذه الآيات الست من أول سورة " الطور " واختيار هذا المطلع له دلالة فنية فى القصيدة .

والشَّعْبِ المقهورْ !!

والقدس المشطورْ

والأقصى المهجورْ

قد (جاء الأمر وفار التنور)

والعالم يَغرَق فى الديجورْ

والسِّلْمُ يفتش عن ساعده المبتورْ

والشمسُ تُجمِّع كل حقائبها...

...تَرْحَل عن زمنٍ يَخْنُقَ أصْداء النورْ

تبحث عن وجهٍ آخر للعالم...

...لا يتوارى خلف قناع شرورْ

فسماواتُ العصرِ انشقت

والأرض أرَاها قد مُدَّتْ

﴿أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (1)

والأنجم فى قلب الإنسان انكدرت

---

(1) الانشقاق 4

وجبالُ الأحلام تُسيرَّ (كالعِهن المنفوش)

والناسُ من ' الفزع الأكبر ' مثل فَراشٍ مَبثـْوثْ

والأطفال تُبعثرَ تغدو للنيران وقُودا !!!

هل يوم الحشر أتانا بَغْتَهْ ؟

هل نفخوا فى الصُّورِ ولم يصْعَقْ غيرُ الثوار ؟

هل نصب الميزانُ المكسورُ وما خلف القضبان سوى الأحرارْ؟

هل تشرِق بعد الآن الشمسُ من الغرب...

...وتوأدُ كلُ الأقمارْ ؟

هل سيق الناس إلى الحشر ؟

والأرضُ – جهنَّمُ – تغلى تستقبلنا زُمَرَا : زُمَراً

تَفْتَح آلافَ الأبواب !!!

تتميز من غيظٍ ...

لا تَقْنَعُ بالأطفال ولا بالأثـْداء ولا بالآباءْ !!!

تلْتهم حقول البترولْ

فهى الآكلُ والمأكول !!!

تلتهم الأجران الحبلى بالقمح وتحْرِقُ حُلْم الفقراءْ

تغتصب زمانَ الوعد الأخضر...

... تُلْقى بذْرته فى القيْظ ...

... وتُلْقى فى الإعصار نبوءات الصديق!!!

فيصبر الماء لهيباً ودماءْ

وعصا موسى لا تَضرب أحْجَار الظلْم ولا تغدو جِسْراً

للشرفاء !!!

وسفينة نوحٍ لا ترسو فوق الجوديِّ ...

... ولا تُبْصِرُ وجهِ الميناءْ !

فاليوم تقوم الساعةُ والأرضُ براكينُ دماءْ

والسلم يفتش عن ساعده المبتور

يبحث عن عَيْنيه الشاخصتين وراء القضبانْ

ويسافر فى حمم الأنقاض...

...يفتش عن ذاكرةٍ غربَت منذ سنين ! ! !

هنا كان عمرى الذى قصفوهْ ! !

هنا كان قلبى الذى ضيَّعوهْ ! !

هنا كان وجهى الذى شوهوهْ ! !

هنا كان حلمى الذى بعثروهْ ! !

هنا كان عقلى الذى خسفوهْ ! !

هنا النيِّل فى صخَب الظلم يصرخ والناس لم يَسمعوهْ

(إن حظى كدقيق فوق شوك يَعْثروه)

ثم قالوا لحفاةٍ يوم ريح اجْمَعوهْ

****

والأرضُ تُبدَّلُ ' غَيْرُ الأَرْض '

وعليٌّ يَحْمِلُ فوْقَ السَّيْف القرآن (1)

يجأر فى النَّجَفَ الأشرف (1)

---

(1) هذان البيتان لشاعر النيل حافظ إبراهيم : وهما من بحر الرمل .

... فى قُمْ ... فى عَبَدَان [2]

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ [3]

لا يَتَعَدَّدُ ' وَجْهُ اللَّهِ '

والشمسُ تَجمِّعُ كل حقائِبَهَا ...

... تَرْحَلُ عن زَمَن يَضَعُ أصابعه فى أُذُنيه ...

... ويخْنُقُ أصْداء النورْ !!!

نَبْحَثُ عَنْ وَجْهِ آخر لِلْعَالِمِ لا يَتَوَارَى خَلْفَ قِناعِ شُرُورْ

ترْكَبُ فلك الإيمان وتعْبُر طوفانَ الديجورْ

مجراها باسم اللهِ وُمْرساها

تُصْغى للصوت القادم من لدن الملإ الأعلى

(فاسلك فيها من كل زوجينِ اْثنين وأهْلَك)

---

(1) مزار الإمام على بالعراق .
(2) مدينتان فى إيران .
(3) من سورة النساء 13 .

﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [1]

فهو يُجِّدف فى البحرِ المسجورْ

والربان السائر بالشمسِ يظلله ' البيتُ المعمورْ '

تجتاز سفينتُه يَمَّ العصر ...

... وترسو فى جبل الطور

وَتُشقُّ تواريخَ التيه...

...وتشرق بالألحان بعين الأقصى المهجورْ

ويغيض الماء...

...ويقُضَى الأْمرُ...

...ويلتئم القدْس المشطور

والسلم تُرَفْرفُ فى الآفاق ذراعاه ...

تُلَوِّحُ بالسيف المنصورْ

الزقازيق يوليو 1982م

---

(1) من سورة المؤمنون 27

العناق فى موسم العودة

﴿ رسالة من سيناء إلى النيل ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ المؤمنون: ١٩ - ٢٠

... ...

وبعد زمان التغرب أرْجعُ أحملُ كل اشتياقِ السنين إليكْ
أنادِى عليكْ
وأنتَ بقلبى انطلاقُ الأمانى
وأنتَ بأفقيَ ظلُ الزمانِ
وأنتَ انتفاضةُ روحى

وذاتيَ شمسٌ تغرِّدُ فى شاطئيكْ

أنادِى عليكْ

وأعْرف أنى نهلتُ ضيائيَ من مقلتيكْ

وأعْرف أنكَ ما هُنْتَ يومًا

وما هان سيفك فى راحتيكْ

وما صار موجك سمًا

فكلَّ التواريخِ شبَّتُ على ساعديكْ

أنادِى عليكْ

وأعشق فى خَطْوكَ للكبرياءْ

فكلُّ السفائنِ تَجْرى إليكْ

وكلُّ المنارات فَى ناظريكْ

وكلُّ اشتياقِ المفازات للريِّ جاثٍ لديكْ

وكلُّ الحدائقِ بنتُ يديكْ

أنادِى عليكِْ

فَأنتَ برغم الذين أغارُوا عليكْ

تواصِلُ مجراك منذ انفجار الزمان

وتهزأُ بالعاديَات وبالعنفوان

وتزرع ظلَّك فى كل أيْك

فيَهمى الأمانْ

وتَغْرسُ فى كل حقل يديكْ

فينمو الحنانْ

أنادِى عليكْ

وأنتَ تحلِّقُ فوق الذين أغارُوا عليكْ

فهل بالحرائق والحقد هم جفَّفُوكْ ؟

وهل بالحصار المكابر هم قَيَّدوكْ ؟

وهل بِرصاص الخيانة هم قَتَلُوكْ ؟

أنادِى عليكْ

وأنتَ كما كُنْتَ تَهْدى إلى الحَق من كفَّروكْ

وأنتَ كما كُنْتَ تَسْبقُ مَن نافَسوكْ !

وأنتَ كما كُنْتَ تحنو على كلِّ مَن حاربوكْ

وتَسْقى ودادك كل الأولى هجَروكْ

أنادِى عليْكْ

ومن قاعِ واديك يا نيلُ...

...عشاقيَ السمر هَبُّوا كمثلِ الرياحْ

وقد دَمَّروا الخوف فى جرأة النسر حَتَّى ...

يُعيدُوا إليَّ الصباحْ

وكُنْتَ لشريانهم منهلا

فكانوا لجيدك أحْلى وشاحْ

تساقت دماءَهمُ ضفتاك

فأينع فى العُمرِ خِصْبُ الكفاحْ

أنادِى عليكْ

فإنكَ أحْيَيْتَنى بالضياءْ

وذُقْتَ الأفولْ

وإنك رَوَّيتْنى بالإباءْ

وذُقْتَ الذبولْ

وإنكَ أمهرتنى بالوفاءْ

فحُزتَ القبولْ

وفى موسم العَودة الخِصْب يشرق فينا عناق الخيولْ

وفى ملتقانا تقيم العناصر عرْس الفصولْ

أنادِى عليكْ

وفى ثورةِ الموج يومض برق السؤالْ

أفى موسمَ الخصب أُصبِحُ مستودعًا للرمال ؟

أفى حفلة العرس يكتسح الصخر عطْر الظلالْ ؟

" وسيْناء تنبُتُ بالدهن " يَخطُر فيها الجمال

أنادِى عليكْ

فأقبلْ

على راحتيكَ الحدائقُ تُنْبِتُ عزم الرِّجالْ

وأقبلْ

بعيْنيك فَجْرُ التحدى يمزق ليلَ الـمُحالْ

وأقبلْ

وفى خطْوك الـمطمئن شموخُ الجبالْ

فسيْناء تنبُتُ بالدهن يخطر فيها الجمَالْ

الزقازيق – مايو 1982م

المسافرْ

بَاسِمًا كَانَ كَوَجْهِ النِّيلِ سَمْحًا كالجدودِ الطَّيِّبَينْ
فَارِعَ الْقدِّ كَمِثْلِ الْهَرمَ الأكبر وضاءَ الْجُبِّينْ
يَدُه أَنْقَى مِنْ الْقُطْنِ وَأَنْدَى مِنْ عُطُورِ الْيَاسَمِين
قلبُه مِثْلُ شُعَاعِ الْبَدْرِ ، فَيَّاضٌ بِهَالاتِ الْحَنينْ
رُوحُه سَلَّة قَمْحٍ تَهَبُ الأَمْنْ لَكُلِّ التَّائِهَينْ

* * *

هَكَذا كَانَ صديقى رِحْلَةً عَبْرِ السِّنِّينْ
سَافَرَتْ أيامُه وَالدَّرْبُ قَاسٍ وَضَنِينْ
زادُه كَانَ التأنى فى زَمانَ الْعَاثِرِينْ ! ! !
وأمانيه حُقُولٌ مِنْ صِحَابٍ واعدينْ
لَمْ يَعِشْ فى سَجْنَ وَهُمْ فى زَمانِ الواهمينْ ! ! !

مبحـــرًا فـــى زَمَـــنِ الْحُـــبِّ لِقَـــوْمٍ ظـــالِمَينْ !!!

لَـــمْ يَصُـــدُّوا الـــرّيحَ عَـــنْ أغصـــانه وَهَـــى تَضِـــيعْ !!

شَـــاهَدُوهُ ... الْعَمَـــرَ يَـــذْوى وَهْـــو نَهْـــبٌ لِلْصَـــقِيعْ !!

فَـــأَدَارُوا ظَهـــرَهُمْ وَهْـــو مَـــعَ الـــدَّاءِ صَـــرِيعْ !!

فـــتَّح الْعَيْـــنِينَ لَـــمْ يَشْـــهَدْ سِـــوَى ظَـــلِّ الرَّبِيـــعْ !!

سَـــقَطَتْ أَوْراقُـــه تَحْـــتَ خُطَـــى اللَّيْـــلِ الْمُرِيـــعْ

نَضجَـــــــــــــــتْ أثْمـــــــــــــــارُه

فالتقطوهَـــــــا عَرَضُـــــــوهَا للمبيـــــــعِ !!

الزقازيق يوليو 1982م

" أسئلة تبحث عن المرفأ "

وتسألنى عن النبع الذى يَرْوى طموحاتى

وعن زمن الرحيل متى يذوب مع المسافاتِ ؟

وعن ثمرى متى يأتْى فيطفئ ثورةَ الذاتِ ؟

وعن غيثى متى ينفك من رحم السحابات ؟

البيضاء . ليبيا – يناير 1978

لن يموت فى عُيُوننا النَّـهار

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ الحشر: ٨ - ٩

* * *

قوافل الإيمان هبَّت والضياءُ قادها لمرفإ الأمان

حاكت من الإصرار ثوبا وارَتَدتّهُ...

...حطمت به عواصفُ الزمان والمكانْ

وينحنَي التاريخ إجلالا أمام مَن مشى بها من الفرسانْ

ففى قلوبهم نمت حدائق السلامْ

وحطَّموا مدائن الكلامْ

تعانقوا وحولهم يَضْوِى عبير الانتصارْ

وفوقهم ألوية العزة والفخارْ

تَسبح فى سحر الأمانى المزهرةْ

تسرى بها روحُ السماء الطَّاهرةْ

تشدو بها طيورُها

وتحتسى أقمارُها

أَلحانَهَـــــا المعتصـــــرةْ مِـــــنْ خَمْـــــرَةِ الأرواحْ

مِـــــنْ كَرْمَـــــةِ الإيمـــــان مِـــــنْ دَوحَـــــةِ الإصـــــلاحْ

مُهَـــــاجِرُونَ للإلـــــهْ فـــــى رِحْلَـــــةَ الْعِرْفَـــــانْ

تَـــــدَرَّبُوا عَلَـــــى هـــــواهْ فـــــى سَـــــاحَةَ الْعَـــــدْنَانِ

قَـــدْ غَرَسُـــوا فـــى قلـــبَهُمْ أَسْـــمَى شـــعارْ

نَمُـوتُ لَكـنْ لَـنْ يَمُـوتَ فـى دُرُوبَنَـا النَّهَـارْ

تَمُـوتُ فـى سَـبِيلَهِ الأبنـاءْ وَمَوْتُهَـــــا يَهُـــــونْ

وَتُهلِـــكُ الأمـــوال والآلاءْ وَمَـــا لَهَـــا نَصُـــونْ

وترْحـــل الأطمـــاعُ عَـــنْ نُفُوسِـــنَا

وتُخْلَـــعُ الأوهـــام مِـــنْ رُؤُوسِـــنَا

وتُقْفِـــرُ الأيـــدى مِـــنْ الْبَريـــقْ

فَنَبْضُـــــهُ وَهُـــــمٌ وَشمسُـــهُ سَـــرَابْ

ومـــــاؤه غَـــــيْمٌ وبَرْقـــه عِـــذَابَ

وكأسُـــــه سُـــــمٌّ وَفَجْـــرُهُ ضِـــبَابْ

يفنى ولا يبقى سوى أسمى شعارْ

نموت لكنْ لن يَمُوت فى دروبنا النهارْ

وانتصروا ولُوِّنَتْ أعماقهم بصبْغة القرآنْ

وطاولوا الشمس بفرسان من الإيمانْ

وفى قلوبهم سرت ملحمةُ الضياءْ

أبطالها التصميم والإقدام والفداءْ

بروحهم تغلغلت وانصهرت أشعةُ الطهارةْ

وقَبَّلَتْ أعماقهم إشراقةُ السماءْ

فحَلَّقُوا فى سَاحَةَ الْحَقِيقَةِ بَـــــلا جُنَـــــاحْ

فَــرُوحَهُمْ أَســيرَةٌ طَلِيقَــةْ بَـــــلا وِشَـــــاحْ

فـى لُجَـةً مِـنْ اِلْسَّـنَا غَرِيقَـةْ مَـــــعَ الصَّـــــبَاحْ

وَمَارِدُ الإيمان صَاحْ

يـــا قِبْلَـــةَ الإنســـانْ يـــا شِـــرْعَةَ الْعَـــدَنَانْ

قَـــدْ هَـــاجَرَ السّـــلامْ مِـــنْ أَرْضـــنَا الْحَزِينَـــةْ

لَـــمْ نَـــدْرِ أَيْـــنَ رَاحْ وَغَـــادَر الْمَدِينَـــةْ

وَأَصْـــبَحَ السِّـــلاَحْ يفجِّـــرُ الضَّـــغِينَةْ

والأنـــف فـــى الرُّغـــامَ لنكبـــة مَهِينَـــةْ

والأرض غاصت فى الجراحْ

أخْرسها طولُ النواحْ

واستعرتْ من شرْعة مجنونةْ

تقلَّدتها عصبةٌ مفتونةْ

فعَقْلها كعمرها خرابْ

وشمسُها تَصُبُّ فوق رأْسها اليبابْ

شمالُها ينوح بالأحزانْ

جنوبها يغرقُ فى الأدرانْ

جبالُها محمومةُ الأعماقْ

سهولُها مصفرةُ الأوراقْ

أيامها باهتةُ الأحداقْ

تنذر بالمستقبلِ المغبونْ

والحاضر الملعونْ

وأصبحت كطفلة بين التروسْ

قانونُها يُصَبُّ فى الكؤوسْ

وتنحنى له الرؤوسْ

برغم أنه يَقُولْ

الحرب تسحَق النفوسْ

الحرب تسحَق النفوسْ

* * *

قد كبرت مكةُ يا يثرِبْ (1)

وأصبَح العالم كلُّه شبيه مكَّةْ

ما فيه إلا الغدرُ والشقةْ

وما وجدناكِ ولو نجوى على فم البشَرْ

فأين يا يثرب نلقاك لنْرفَعَ الشراعْ

أين تهاجر القلوبُ فهى تبكى بين أنياب الضياعْ ! ! !

* * *

– هجرتُنا للنفس عنها نكسح الأوزارْ

---

(1) المراد مكة قبل الإسلام .

نرفعها لجنَّة القداسة السامية الشعارْ

نسكن فيها الأمل الذى يوشيها بأنوار الخلاص

يغرس فيها ثورة القصاصْ

يلبسها ثوب الأمانِ والأمانى المزهرة

ينُزع منها العفن العتيق والأجنحة المكسَّرةْ

يلقى بها فى قلب أفْق الانتصارْ

فى وهج الصَّدْق وأعماق النهارْ

حتى نقود خطونا ولا نضيع فى متاهة الدمارْ

حتى نصير كالمهاجرين والأنصار

نرْفَعُ فى محبة أسمى شعار

نموت لكنْ لن يَموت فى عيوننا النهارْ

القاهرة: أكتوبر 1970

كلمات على طريق الحرِّية

وسِـرْتُ علـى الطريـق الأخضـر المفـروشِ بـالوردِ
أُغنِّـي للغـد المـأمول ... أرقـبُ موكـب السـعدِ
وأحْلُـم بالأمـانى الخضـر والكاسـات والشَّـهْد
وبـالثغرين يلتقيـان ... والأيـدى علـى الأيـد

... ...

وأسـكرنى التجـولُ فـى دروبِ الحُلْـمِ والأمـلِ
وكـادت تُعْصـر الخفقـاتُ بـين اليـأس والوجـلِ
فعُـدْت مُـرَنَّح الخطـوات مثـل الـذاهل الثمـلِ
أرى الحجـر الصـغير وقـد بـدا فـى صـورةِ الجبـلِ

... ...

وسِـرْتُ وسـارَ وهْمـى فـى ضـلوعى يقْتُـلُ الفكـرا

فبـــالأحلام والنجـــوى وبالأصـــداء والـــذِّكرى

غـــدا ســـأكون ســـلطان الحيـــاة وأملـــك الأمـــرا

وَأُمطـــرُ وَجنـــةَ الأيـــام مـــن قبلاتـــيَ الســـكْرَى

... ...

وأيقظنـــى مـــن الأوهـــام صـــوتٌ رَنَّ فـــى أُذُنـــى

نظـــرتُ فـــإذْ بـــه صـــوتٌ لشـــيْخٍ ذاب فـــى الـــوهَنِ

ويأســـر فـــى يديـــهِ الفـــأس يهـــزأ بالأســـى العفـــنِ!!!

ويَهتـف: هـان عمـرى فـى سـبيل الأرض يـا وطنـى

... ...

فلاحـــت صـــورة القهـــر أمـــام العـــين كـــالجمرِ

فجَـــدِّى مثلُـــه ضـــمُرت ســـواعده مـــن الصـــخرِ !!!

وبـــين المـــوج قـــد دُفنـــت مـــآثره مـــع العمـــرِ

ونحـــن نُشـــيِّدُ الأحـــلام فـــى زهـــوٍ علـــى النَّهْـــرِ !!!

... ...

ذهبْتُ إليه . حيث رأيت جذْعًا ما به ورقهْ

له لون التراب وقد أسال على الثرى عرقَهْ

ذهَبْتُ وقلتُ : هات الفأس : قَلْبى نبضُهِ شفَقهْ

فقال : بنيَّ : لا : فالطين يَخْلُد فيه من عشقه

. وعاش ليسحَقَ الجوعَ اللعينَ وجوعُه سحقهْ

... ...

وقال: الفأس بعضٌ من عظامى: والثرى لحْمَى

مكانكَ فى خطوط النار تحْرقُ غابةَ الظُّلْمِ

وتنزع من ' قلوب الناس ' صبار الأسى المُدْمِى

فقلبى من لهيب الحزن صار كقعطة الفحْمِ

... ...

هناك وهبْتُ للموت المقدس فلذة الكبدِ

وحيدى كان لكنى به ضحيَّتُ يا ولدى

هناك تراه ثأرا لاح فى الآفاق للأبَدِ

وإكلـــيلا مـــن الحـــب الـــذى أفـــدى بـــه بلـــدى

... ...

وفـــى عينيـــه أشْـــجارُ الأســـى شَـــبَّتْ بهـــا النـــارُ

وقـــد حضَـــن الثـــرى فمُـــه وأشـــعل قَلْبَـــهُ الثـــار

وقـــال " الفـــأس فـــى كفِّـــى بهـــا ســـيحطَّم العـــار "

"وحيـــدى لم يـــزل حيـــا يعـــانق روحَـــه الغـــارُ"

... ...

بُـنيَّ أمـا تـرى جَـدْب الحقـول وصـدمة النكسـة ؟

وذلَّ اليـــتم فـــى عـــين الصـــغيرِ ومـــا درى بؤســـةْ ! ! !

ونعـش نهارنـا يمْشـى . وقـد دَفَـنَ الأسـى شمسَـهْ

ووجـــه بلادنـــا المفقـــود يرثـــى فـــى الـــدجى نفسَـــه ؟

... ...

فقلـــت نعـــم : وفـــى عـــينيَّ غامـــت صـــورة الكـــونِ

تـــــذكرت الضـــــياعَ ورحلـــــةً جمريـــــةَ اللـــــونِ

وثـرتُ علـى الوجـود ... علـى مآسـيه التـى تُضِـنى

وقلــتُ أبـــى : ســأرْحل كـــى أتم رســالة الابـــن

... ...

سأعْبُر نهـر أَحزانـى وأغرق فيـه أشجانى

وأشهد فجر مـيلادى يمــزق ليــل أكفــانى

وانســج للغــد العريــان ثوْبًــا مــن دمــى القــانى

وأســكب فــى دمِــى النشــوى لتَقْتُــل يُــبْسَ شُــريانى

... ...

وفــى بيــداءِ عمــرى فــى كيــانى فُجِّــر الثــأرُ

فَرُحْــتُ أمــزق الأوهــام حتــى يبــزغَ الفجــر

ورُحْــتُ أحطِّــمُ الأســوار حتــى يُــدْفن الأسْــرُ

" فللحريـــة الحمـــراءِ " دربٌ خَطْـــوُهُ العُمْـــرُ

القاهرة : 1970م

نشرت بمجلة الثقافة الجديدة 1994م

من فوق حبل المشنقة

(1)

من فوقِ حبل المشنقةْ

نظر الشَهيدُ وفى كلا عيْنيه أمواجُ الثقةْ

يتراقص الإصرار فى أعماقه المتألقةْ

وإذا بأصداء ترن بغرْفة الإعدام وهْيَ مشاعلٌ متدفِّقةْ

إنى كسَرْتُ الشِّرْنقَةْ

ووقفْتُ كى أحيا على أوتار حبل المشنقةْ

(2)

لو قَطَّعونى ألْف قطعةْ

ورمَواْ بجسمى فوقِ شاطئ كلْ ترعة

أو شتّتوا فكْرى ولم ألْقَ الذى يسطيع جَمعَهْ

أو كبَّلونى بالأسى

أو أرضعونى من حليب سياطهمِ ملْيون رَضْعةْ

لن تَذْرف العينُ الأبية أى دَمْعةْ

وإرادتى لن يقهروها فهي فى ليل المآسى ألْفُ شمعةْ

(3)

فعلى جدار السجن يا أمّى هنا بدمِى كتَبْتُ الملحمةْ

وَصَنَعْتُ من لَحْمِى طريق إرادتى وبدَأْتُه بالجمجمةْ

ووضعت ألفَ إشارةٍ مصبوغةٍ بدمى لتُرشِدَ كل عينِ قادمةْ

فإشارتى الأولى ذراعى وهى قد قُطِعت بأيدٍ مجرمة

صارت ضياءً شُعَّ فى قلْب الدروب المعتمةْ

وإشارتى الأخرى...

...إلى ما لا نهاية كلُّ آثار الجِرَاح المؤلمةْ

صارت على وجهى ... وفى رأسى...

...وفوق يدى ... وتحت الجلد أغلى أوسمَة

صارت " نياشينا " تُطرِّز صدر أخْلد ملحمةْ

فأنا شربْت الخُلْدَ من " صنبور " حبلِ المشنقةْ

لكنَّ جلادى المكابر قد أقمنا مأْتَمهْ

ما أعْظَمَ استشهادِ روح تعْشَقُ الموتَ المقَنَّع بالفدا

ما أعْظَمَهْ !! ما أعْظَمَهْ !!

(4)

إنْ يقتلونى أَلْفَ مرَّةْ

فأنا سأحيا بعدها مليون مرَّةْ

الموتُ عندى والحياةُ...

...كمثلِ ثوبَ غيروه ، لأبيضٍ من بعد حُمْرةْ

ودُموعُ أمى ليس فيها أيّ آلام وحسرةْ

فدموعُها بطلٌ تقولُ له تقدَّمْ...

...وافتد الوطنَ الذى سلبوه فجْرَهْ

ونحيبُها الإصرارُ...

...وهْو يميت أشباح الأسى

وعن القلوبِ يصُدُّ غدْرَهْ

فحبيبتى فى السُّوق تاهت...

...ثـُم تاهت ثـُم تاهت ألفَ مرةْ

والسُّوقُ ذو سورٍ من الذممم الخبيثةِ...

...كل يوم قد سقانا الغدرُ شرَّهْ

ورأيتُ فى يدها هُوِيَّة عمرْها...

...وبها تطُوف كمن تمنى طيفَ كِسْرهْ

لكنَّهم قد جردوها من ثياب عفافها

وبوجههها صاحوا : لحقِّكِ ما لدينا أيّ ذرهْ ! ! !

فنهضْتُ ... ثم خَلَعْتُ سور السوق...

...ثم صرخْتُ لا ... لا ... أنت حُرَّهْ

وبرغمهم ... حتى إذا جاءوا بفيلٍ أدْخلُوه ثـُقب إبْرة [1]

وعلى الثَّرى وقفوا

وكان ذراعُهم عند المجرَّةْ

---

(1) هـذه الأبيـات مسـتوحاة مـن قصـيدة للشـاعر توفيـق زَيَّـاد : شاعر المقاومة الفلسطينى

أو أنهم حبَسوا ملايين الجمال بقَلْب صُرَّةْ

لن يسلبوا من معصميك سوار عزك أيَّ مرةْ

فعلى طريق النار يَهْتِفُ واقعى

لا عشْتُ يا بلدى...

...إذا لم تحضنى قمر الخلاص وأنت حُرَّةْ

فأنا كسَرْتُ الشرِّنقةْ

وتراقَص الإصْرار فى أعماقي المتألِّقةْ

ووقفْتُ كى أحيا...

...على أوتارِ حبل المشنقة !!!

... ...

القاهرة :1970م

المنفى داخل الوطن

(هكذا تكلم أحمد عرابى)

من أعماق التاريخ بعثتُ رسالة حبٍّ

من نبع الوُد نهلْتُ صدى كلمات مرفؤها القلبْ

من ثُكنَاتِ الجيشِ المقهورِ...

...وصْوتُ الجلادِ سياطٌ صُبَّت فى الآذانْ

من رائحة الأجساد الملقاةٍ بأرض قد حَبـِلَتْ بالأحزانْ

أرِقَتْ من طُول ليالى الحرمانْ

ذابتْ فى بَوتقةِ الكَرْبْ

فلياليها ملكُ للسُّلطانِ

0من غيم تكاثف آمالى المخنوقة بالواقع يا أحبابْ

أبعثُ ألْفَ كتابْ

0عنوان كتابى الأول " وقْفةُ عابدينْ "

حيث الصنمُ الواقفُ ، والكلماتُ رصَاصٌ يَقْتُلُ أنفاسهْ

" لم يَخلقنا الله عقارا "

" لن نُستعبد بعد اليوم "

...كانت حجرَ أساسٍ فى قصرِ الحُريةْ

ما زالت فى صدر الأعماق قلادةْ

من أجْل ضياها نيلت ألفُ شهادةْ

... ...

...عنوانُ كتابى الثانى " معركةُ التحرير "

وجيوشُ الأعداء بصدر بلادى تضع السكينْ

وتدر الخيرَ الوضَّاءَ من الأثداءْ

وذويها يأْتدمون الطين ! ! !

" ودليسبسُ " يزوِّر أوْراق قضيتنا

والشعبُ يقاتل من غير غطاء ! ! !

وكأنا أسلمنا أنفسنا لمنيَّتِنا

لكنا نفدِى حريتنا

نهتِفُ فى التلِّ وعند رشيدْ

نُقْسم ... نُقْسم ... ثم نعيدْ

(والعَصْرِ ، إن الإنسان لفى خُسْر)

" إلا من وصى بالحَق وحارب من أجْلك يا مصر "

* * *

وقناةُ الشَّعْب الملآى من عَرَق البسطاءْ

جعلوها شُريان شقاءْ

وضعوا فى وجْهِ الجيش تماثيل اليأس

حتى ازدهرت آمال (دليسبس)

كم بعثر أموَال الشَّعب وقال سنحفِرُ ألفَ قناة

حتى فقدَ الشَّعب ضياهْ !!!

وتهاوى فى جب المأساة

وإذا الجبُّ ديونٌ وقناةْ

تُفْتَحُ زمن السِّلْم ... وتُفْقَأُ فى زمن الحربْ

كالزهرة يَغرسها المسكينُ وتقطِفها أيدى الأمراءْ

كم فجَّرَ من قلب الصخر فراتا أطفأ ظمأ الصحراءْ

وحساه الأعداءُ وكان نصيبُ الـمِسكينِ الـمُرَّ مع الإعياءْ

هل من يَصْنَع للناس دواء يأكله الداءْ !!!؟؟؟

* * *

...عنوانُ كتابى الثالثِ والرابعِ ... والألفْ

واللا ما لا يُنهى ... أو يخفى

(أيامُ المنفى)

والوطن بصدرى زنبقةٌ بيضاءْ

تتأرجح ما بين القَلْب وبين الأحشاء

...وفؤادٌ فى الجسدِ المنزوعِ من الأحباب...

...الراحلِ من غير فؤادْ

وعبيرُ النِّيل بساتين الأحْلام

يشدو فيها بالنَّاى المسحورِ الخيَّامْ

والأهرامُ عرائسُ تُصغى للأنغامْ

لكن الناي غناهُ حزينْ

كالطائر من غير جناحْ

كالقمر المنتظِر الميلادِ ... المسجونِ بأرحام الطين

مصفَرَّ الوجه يعيد قراءة كلِّ الأورادْ

حتى يأتى الميلادْ

(المنفى داخل الوطن)

0صورةُ وطنى ... فَّلاحٌ يمسك فى كفيه حديدهْ

وعليها قد حُفِرت بعض حروفٍ معدودةْ

تنبئ عن شخصيتهِ المفقودةْ

0يا كم يختِم فوق الصحف البيضاءْ

يحسَب أن السطر جوار السطر كلامٌ مخطوطْ

لكن ينطق إحساسُ البائسِ ... يا لَلَّنفْس الخرساءْ

لا فرقَ إذن بين الإنسان وبين الحيوان

الكلُّ يساق برغم الأنف ...

تحت سياط للسجان ليلقى الحتْف

يا كم مائةٍ ... يا كم ألفٍ ... يا كم مليونٍ ...

يا كم ... يا كم ... لا يحصى الحَرفْ

والآن أُطل بروحى من شُرْفة أهْلِ الكهفْ

أنْظُرُ فزِعا ... خوْفا من دقلديانوس ... رسولُ العنفْ

لكنى أُلْمح تغييراً فى كل مكانْ

فى الشارع..فى الأرض..وفى النفسِ..وفى الزيِّ وفى الإنسانْ

0ولـمَحْتُ أصالة مِصْرٍ فوق الأوْجه خَيْر وسامْ

فليمنعْ (توفيقُ) شروط الجيش

وليخطب إسماعيل أمام القصر

وليهتْف فى كل عنادْ

(ما أنتم إلا مِلْكٌ للآباء وللأجدادْ) ! ! !

(ما أنتم غيرُ عبيد الإحسان) ! ! !

0كانت هذه الكلمات سدودًا فى وجْه الحريةْ

لكنْ ألمحُ فوق الجدران عِبَاراتٍ مكتوبةْ

أعْينُ ' كل الناس ' عليها مصلوبةْ

(لم يَخْلقنا اللهُ عقارا)

(لن نُستعبد بعد اليوم)

وأمام الكلماتِ المأخوذةِ من ذاكرة التاريخ

ألمحُ ألْفَ عبارةْ

سنحاربُ من أجل الحرية

سنكون فداءً للوطنية

نصرخ فى التلِّ ... وعند رشيدْ

نقْسِم ... نُقْسم ثـُم نعيدْ

(والعَصْر ، إن الإنسان لفى خُسْر)

إلا من وصى بالحَق وحارب من أجْلك يا مصرْ

القاهرة : 1970 م

الكلمة و السيف

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا ﴾ سورة القتال الآية : ٤

الآن الكلمةُ ليست حرْفا

الآن الكلمةُ صارت سيفا

صارت سيفا وخناجرْ

ولهيبًا ومشاعرْ

فلتخنق كلُّ الأصواتِ المغشوشةِ والزائفة الأصداءْ

ولْتُحْرقْ كلُّ الألفاظ الجوفاءْ

فالآن الكلمةُ تَزْحَفُ ... تَزْحَفُ ... فى سَيْنَاءْ

تَكْبُرَ ... تَكْبُرُ ... فى صوتِ المدفع والدانَاتْ

تنطلق ضياءً ... وخلودا ... وصباحاً ...

يقهر ليلَ الأموات

ما عادَتْ ذات مذاقٍ متلون

ما عادت لوْنَا يتشكل حسب الطقس وحسب العادةَ

أو عُشباً شيطانيا فى أفواه الدجالين

أو أجْراسا ذاتَ رنينٍ مهزومْ

يُنْبِتُ فى السمع الشوك ... ويْحرِق أملَ المنطلقينْ

لكن الكلمة يا أحبابْ

صارت نبْعاً يتدفَّقُ بالضوء وبالصِّدْق وبالآمالِ الخضراءْ

وشراييناً تنفَخ فى الأعماق الملتهبةِ من روح الإصرارِ ...

... فتزهـــــر فيهـــــا كـــــلُّ الأشـــــياءْ

والآن امتزجَـــــت بـــــدماء الشـــــهداءْ

تحْمـــلُ عِطْـــرَ الأشـــواق لمحـــراب الحريـــة

وتعيـــــد البســـــمة والحُـــــبَّ إلى ســـــيْناءْ

... ...

فـــــالوطنُ الإســـــم الخالـــــدُ للكلمـــــةْ

والحـــــب الوجـــــه الصـــــادق للكلمـــــةْ

والأمـــــلُ القلـــــب النـــــابضُ للكلمـــــةْ

والإصرارُ ... الشريانُ المتدفقُ فى أعْماق الكلمةْ

0 ولذلك حين عبرْنا الليل نهارا

كانت فى أعيننا الكلماتْ

وطنا ... حُبًّا ... أمَلاً ... إصرارا

ما هزمتها الأوهامُ ... ...

... ولا أنباءٌ كالقرَبِ المملوءة باللَّا شئ ...

عن جيشٍ لم يَتذوق طعْمَ الكلمات

وانطلقت مَعْنىً حيًّا ناريَّ النبراتْ

من أيدى الأبطال البسطاءْ

أبناؤُك يا مصرُ الشرفاء

صانوا شَرَف الكلمة

حين تحقَّق حُلْم العمر على أيْديهم فى لحظاتْ

وأحالوا الشوق لقاءً وعناقاً ممزوجاً بالقبلاتْ ...

لترابكِ يا مصرُ الحاضنُ روح المجْدِ وعطْر الحريةْ

فالحُلْمُ الـمُشْرِقُ فى مِحْنَتِنَا

النابتُ فى ظلمةِ ترْبتنا

كم كلَّفنا ... كم أسْلَمَنَا لصفعات الريح الليلية

كم كَابَدْنا الشَّوْقَ لنَسحَقَ ليل الغدر...

... ونَزرْعَ فى قَلْبِكِ يا مصرُ ملايين الأقمارْ

ونفك ضفائرك لنَغْسِلَها فى ماء قَنَاتِك فى كل الأنهارْ

فى ماء النيل ... وفى الترع ... وفى القَنَوَاتِ

... لنمحو وشْم العار

... والريحُ الشَّرْقيَّةُ تُحَمِّلُ عِطْر الأحْبابْ

وعَبيرُ النصر بحطين يَدْخُل من كل الأبوابْ

وَصَلاحُ الدين يَهُزُّ السيفَ وتكبيرتُه تحتضن المحرابْ

وضياءُ الـمَجْدِ بجالوت يعلق فى صدركِ يا مصرُ ...

...نجوماً... وشموساً ... وزهورا ... وعقود الخيلاءْ

... فانطلقى

فوسامُ العـز بجبهتـك حمامـاتُ سـلامْ

والماضـــى قَمَـــر يســـحَق أيّ ظـــلام

وانتفضى

فجناحاكِ يطيران إلى الشمس يضيئان الآفاقْ

بـِهما حطمْتِ ليالى الحُزنِ وبدَّدْتِ الأسطورةْ

ووقَفْتِ على الشط الشرقي عروساً

بدماء العزة ممهورةْ

تَتَحدَّيْن هولاكو ... ما خفت صقوره

فاحتضنى الْخُلْدَ

فإنا فى العين وضعنا حبك يا مصرْ

ومحالٌ أن نحضن إلا قمر النصر

فَلْتَفْنَ الكلمات وتَرْحَلَ عن معجم هذا العصر

إن لم تصبح يا مصرُ مصابيح تضئُ طريق النصرْ

إنا لا ننْسى أنا حين عبرْنا الليل نهارا

كانت فى أعيننا الكلماتْ ...

وطَنا ... حُبَا ... أمَلاً ... إصرارا

مدينة دمياط - أكتوبر 1973

نقوش على جدار الصمت

حبيبتى ...

فَتَّشْتُ عن وجهكِ فى معاجمِ النبوءةْ

فلم يفاجئنى سوى الموت أو الحياةْ

... عَبَرْتُ ذاتى ... والْتَقَيْتُ بالجموعِ فى مفاوز الألمْ

وقد سئمنا الانتظار والوعود والصلاة فى بيادرِ الحواةْ

ولم تَزَلْ وئيدةً خطاكِ

وكلُّ ذرةٍ تئن من توقف الـمَسِيرْ

وكُلُّ معولٍ ينادِى ... أيهذا الكفِّ أين قبضتكْ

وكل روضةٍ تنادِى طالبَ الثمار أين سلتكْ

وكل غَلَّةٍ تُنادِى حان موعد الحَصَاد أين ... أين منجلكْ

... وأنت يا حبيبتى

أميرةٌ تَغْرق فى سباتِها العميقْ

تَحْلُمُ بالسكون فى ظلال كرمة النجاةْ

حصانُها من الخَشَبْ

وسيفُها مِنَ الحَطَبْ !!!

ولا تريد غير أن يقال يا أميرةَ العربْ

فارسُكِ العملاقُ أحدث العَجَبْ

تَمُد صَدْرَها افتخارا وهى تدرك أنه من السباق قد هَرَبْ !!!

... ...

حبيبتى

إنــا ننــادى مــن نوافــذ المجالــدَةْ

لكنمــا جَفَّــتْ حلوقُنــا مــن النــداءْ

ومزَّقــت وجوهَنــا أقنعــةُ الحيــاءْ

وقــد صــهرنا كــل أكْــوام الجليــد

نريد أن نُطِل يا حبيبتى على الحيـاةْ

نريــد أن نخــرج مــن دائــرة الفــراغْ

ونَكْسِــر الأقــلام والمحابــر المزينــة

ونُشْعلَ النار بـأوراق التقـارير التـى

تقيم فـى الأعمـاق ألـف مدخنـة!!!

فما رأينا فوق أضلاع الطريقِ غير أشْجار المساءْ

وما رأَيْنا فى مرايانا سوى حدائق الشتاءْ !!!

وما بذاتنا سوى الطحالب المهاجمةْ

وأَلْف دربٍ للأمانى المسكرات الواهمةْ !!!

... ...

وعششت بنفسنا العناكِبْ

وفى قُلوبِنَا حرَائقُ الضياع والأسى ... والذكريات المحزنةْ

كأننا فى بؤرة الوقُوفِ نُقْطةُ العدمْ

ففوق ميزان الوجود قد تَبَدَّدْنا هباءً أسودا

وفى صحائفِ الزمان لا نرى مَوْتا لنا أو مَوْلدا

ينطلق التيار ساحقا وجودنا

برغم أن جرحنا يضج بالأنين

وتسيل منه كل آلام السنين

نظَلُّ فى أوهامنا

ولا نداوى جرحنا

ونَفْتَحُ التاريخ قائلين ... منصتين ... غافلين....

... معجبين بالذى يقول إننا

كانت لنا ... كانت أنا ... كانت لنا ... !!!

- حبيبتى

متى ... وكيف تَنْهضَين من رقادك المخيفْ ؟؟

متى تُشَيدِّين منزل الجسارة الوريفْ ؟؟

وتَهْدمِين كل هذه الرفوف ! ! !

فلم يعُدْ لركْبنا وقوفْ

إنا انتهينا حيث كنا قد بدأنا يا لضيعة السنينْ

أخافُ أن نَدُورَ فى دوائر الفراغْ

تَلْفِظُنا الأيامُ ...

... والتاريخُ يمسخنا فقاقيعاً بـِنَهْرِ المعدمينْ

والريحُ تَبْذُر فى ذواتنا الجليد والصقيع والدمُّى المحنطةْ

نَنْظُر للأشياء...

... لا ندرى سوى أنَّابـِها منا شَبهْ

فالثلجُ فى أقْدَامِنَا

والملح فى عُيُونِنَا

وينبُتُ الصبار فى جباهنا

وعَقْلنا ... ونفسنا ... وقَلْبُناَ ...

وكلُّنا ... مِثْلَ الدُّمَى المحنطة

تُحرِّك الحِبالُ كل ما بنا ... حتى الأملْ

وتسلُب الحبَال كل ما لنا ... حتى الأجلْ

وأنت يا حبيبتى تَضْوِين مِثْلَ شَمعةٍ فوق الرفوفِ نائمةْ

كم احترقْتِ واستضاء من سقاك جرعة الأفولْ !!!

كم اشْتَعَلْتِ بعدها ... سلبوك أغلى الأوسمة !!!

.....

حبيبتى إن أجدبت حقولنا فى ذلك العام...

...ففى غد ثمارها السيوفْ

فأقبلى ... وكَبِّرِى ... وزلزلى الحتوفْ

فإنما الموتُ هو المهادنةْ

وألف سيفٍ فى كيانِنَا يقيم أَلْفَ مَحْزَنهْ

وأَلْف شلالٍ من الرماد فى أعْماقنا

لم نَحْي بعد رغم ما قالوه من سبعةِ آلاف عامْ

ولم نزل نجتر من فم الزمان قصة العزاءْ

ورأسُ مالنا الهراءْ

ننام فى تابوتِنَا الحَجَريِّ نلهو بالرسوم الزائفةْ ! ! !

وخمرة المجْد العتيقة المذاقْ

وقد تداخلت لدينا كُلُّ ألوان الحياةْ ! !

وأثمر الجُبْنُ بداخل الجميع حنظلا

لم تَبْدُ فى العين سوى بلاهة المفاجأةْ

وقصة الضياع والعبثْ .

وصورة الجلاد والخَوْف الرهيب والمالأهْ

ونغمة التكرار والرتابة المحطِّمةْ

وزيف أحلام الضعاف والوعودِ المسكرةْ

ووشم جدتى العجوزِ وهو يَحكى قصَّةً مُنفِّرةْ

.....

وكَهْفُنا العتيقُ قد تحركت صخورُهُ

من هِزةٍ مفاجئهْ

وكلُّ ما فيه سرت فيه الثقةْ

فهل هو البعث يُفَجِّر الزمانَ من جديدْ ؟

وهل أتى الأوانْ لنَنْزع القناعْ

ونَصْهَرَ الجليدْ ؟

وهل صحونا نَشْهَدُ البَعْثَ وقِصة النضالِ الداميةْ ؟

أم نَكْتَفى بالدَّهْشَة القاتلةْ ؟

وعندما تُحَطِّم الكهف خيولَ الفاتحينْ

نسأل فى بلاهةٍ ...

ما البعث ؟ ما النضال ؟ ما الحياةْ ؟

لأى شيء حطمت كُهوفَنا خَيْلُ الغزاةْ ؟ ! ! !

مدينة دمياط : يناير 1973 م

العرس و الدُّموُع

"رحل فى زمان الهزيمة . وأوصانى بالفرح فَقَاومْتُ
وواصَلْتُ الطريقَ ... فهل تَغْرُبُ الأحزانْ ؟؟

لِسَانيَ مَعْقُودٌ ... وفكرى مبعثَرُ
وَقلْبيَ بالشكوى يئنُّ ويزفُرُ
وروحى بآفاق الأسى قد تطايرت
كأشلاء آمال على النفس تَخْطُرُ
وذاب كياني فى جحيم تألى
فما عُدْتُ إلا بالنوائب أَشْعُرُ
فَكَفُّ المنايا قد أطاحت بمهجتى
ومـوطنَ آمالى الذى منه أُغْمَرُ

يقولـــــــون لى صَبْراً وإني صـــــابِرٌ

وكيـــــف علـــــــى غَـــــــدْرِ الـمَنِيَّـــــــة أَصْبـــــرُ

ذَوَى غصــن مــن كانــت يــداه حــديقتى

ومـــــــن كُنْـــــتُ فـــــى تَحْنَانِـــــهِ أتعطَّـــــرُ

ومــن كــان بســتانَ الرجــاء لخــاطرى

بكـــــلِّ أمـــــانى الـــــرُّوحِ والقَلْـــــبِ يَثْـمـــــرُ

ومــن كــان فــى درب الحيــاة منــارتى

ومنظـــــار أحلامـــــى الـــــذى منـــــه أَنْظُـــــرُ

ومــن كــان يشــقى كــى أنــال ســعادتى

ومـــــــن كـــــــان بالأحـــــــداث لا يتـــــــأَثَّرُ

قضــى عُمْــرَهُ كالشــمس يَقْطَــعُ رحْلَــةً

مـــــن الشَّـــــرْق حتـــــى الغَـــــرْبِ وهـــــو مُنَـــــوِّرُ

(عليـــه سَـــلاَمُ الله فـــى يـــومِ مَوْلِـــدِ

ويـــــــومِ ارتحـــــــالٍ ثـــــم ســـــــاعة ينشَـــــــرُ

... ...

أبـــى والأســـى شَـــوْكٌ بجفْـــن خـــواطرى

وَقلْبِـــــــــيَ بالأشـــــــجانِ والحُـــــــزْنِ يَقْطُـــــــرُ

أَعُـــضٌّ بنـــانى والمشـــاعرُ أُحرقَـــتْ

ومـــــا عَـــــاد حـــــرف فـــــى شِـــــفَاهي يُـــــذْكَرُ

وكـــم كُنْـــتُ أخشـــى أن يحـــين فراقُنـــا

ولكنمـــــــا الأقـــــــدارُ تنهـــــــى وتَـــــــأْمُرُ

هـــو المـــوت إعْصـــارٌ يطـــيح بـــأنفس

علـــــى رغـــــم أحـــــزان مـــــن القَلْـــــبِ تَهْـــــدِرُ

وما الـدَّمعُ يجـدى يـا أبـى وَقْـتَ بَطْشِـهِ

ومـــــا أنـــــةُ الأطفـــــالِ للمـــــوت تزجـــــر

ولكنـــه أَمْـــرٌ علـــى الكـــل نافِـــذٌ

وهـــــل أحَـــــدٌ فـــــى الكائنـــــات يُعَمِّـــــرُ ؟؟

... ...

رَحَلْـتَ وفـى يَـوْمِ الرحيـلِ قُلوبُنَـا

بنعشـــــك كـــــادت تســـــتقر وتُقْبَـــــرُ

ولـو كـان لى فـى الأمـر شـئ لقيتنـى

مكانـــــكَ لَكِـــــنْ ذاك أَمْـــــرٌ مُقـــــدَّرُ

حُرِمْنـاَك فـى عصـف الشـدائد رُوحَنـاَ

علـــــى قلبنـــــا ظـــــل الســـــلامة تَنْثُـــــرُ

حُرِمْنـاَك حِصْـناً للمنـى يـا حبيبنـا

ومـــــا كُنْـــــتَ عـــــن تحقيقهـــــا تتـــــأَخَّرُ

حُرِمْنـاَك فـى ضـوء الصـباح جليسـنا

وتَصْـــــنَع " شـــــايا " بالحليـــــب وتَـــــؤْثِـــــرُ

حُرِمْنـاَك فـى صـفو المسـاء سميرنـا

مـــــع البـــــدر والألغـــــاز والحـــــب نَسْـــــهَرُ

وتَحْكـى لنـا ألفـا مِـنَ القَصـص الـذى

يَـــــرَوِّحُ عنـــــا مـــــا نلاقـــــى ونَحْـــــذَرُ

وآذانُنـــا مِلْـــكٌ لِمَـــا أنـــتَ نـــاطق

بـــــه حيـــــث فـــــى كُـــــلِّ القلـــــوبِ يُسَطَّـــــرُ

وكنـــا إذا نمْنـــَا نـــراك ملاكنـــا

فكـــــم كُنْـــــتَ للحُلْـــــمِ المُفَـــــزِّعِ تَنْهَـــــرُ

وكـــم فوقنـــا شَـــدَّتْ يَـــدَاكَ غطاءَنـــَا

ومـــــن قَلْبِـــــكَ الـــــدعوى لنـــــا تتحَـــــدَّرُ

وكــم ذُقْــتَ حِرْمَانــًا لنَشْــربَ ســعدنا

وقـــــــد كُنْـــــــتَ بالحرمـــــــان لا تتـــــــذَمَّـــــــرُ

فقـد عِشْـتَ مِثْـــلَ الشـمعِ نـورَ حَيَاتِنـا

تُـــــــدِرُّ لنـــــــا الحُسْـــــــنَى وأنـــــــتَ تُـــــــدَمَّرُ

عبرنــا علــى أكتافــك الصــعب والأســى

أفـــــــى آخـــــــر المشـــــــوار ظِلُّـــــــكَ يُبْتَـــــــرُ ؟

ففــى القلــب مــا عِشْــنا الحيــاة مــرارة

وفـــــى الـــــنفس مـــــا طـــــال البعـــــاد تَحَسُّـــــرُ

... ...

رَحَلْــتَ : وفــى يــوم الرحيــل قُلُوبُنــا

بنعشـــــــك كـــــــادت تســـــــتقر وتُقْبَـــــــرُ

كَأَنَّـــكَ فـــى يَـــوْمِ الـــوداع مناصـــر

لنـــــا مثلمـــــا عِشْـــــتَ الحيـــــاةَ تُـــــؤَازرُ

كأنــك والأقــدار فــى موكــب الأســى

حبيبـــــــــان لاسِـــــــــرٌ لـــــــــذلك يَظْهَـــــــــرُ

وإنـــا عهـــدنا المـــوت قَصَّـــام أظهـــر

فكيـــــــف رأينـــــــا المـــــــوت فيـــــــك يُخَيَّـــــــرُ

آأخَّـــرْت ركـــب المـــوت وهـــو محـــدَّدٌ

لتشـــــــهد عُـــــــرْسَ الإبـــــــن وهـــــــو يُعَطَّـــــــر [1]

وصـــــفقت للـــــدنيا بِحفْـــــلِ زفافـــــهِ

وصـــــــــفَّقْتَ للأخـــــــــرى لأنـــــــــكَ تُقْبَـــــــــرُ

نقيضـان فـى البيـت الـذى أنـت نـورُه

قـــــــد ائتلفـــــــا والنـــــــاسُ للكـــــــل حُضَّـــــــرُ

وبـين تُـرُوس الواقـع المُـرِّ يـا أبـى

تـــــــئن أحاسيســـــــى وقلبِـــــــيَ يُعْصَـــــــرُ

---

(1) كان زفاف أخى " فتحى " فى الليلة التى فارق فيها أبى الحياة ولكن بعد أن تم الزفاف !!! يوم الأحد 1971/4/8م

ويجتـــاحنى إعصـــار يَـــأْسٍ مـــدمرِ

إذا راحْ فِكـــــــرْى فـــــــى لَهِيبِـــــــكَ يُحْشَـــــــرُ

ضـبابٌ مــن الأوهــام يَحْجُــبُ رؤيتــى

ولَسْـــــــتُ لِـــــــوَهْمى أو عَذابِـــــــى أفَسِّـــــــرُ

علــى جمــر آلامــى تَقَلَّــبَ خــاطرى

وزاديَ شـــــوكُ الصـــــبر لـــــو كُنْـــــتُ أصْبِـــــرُ

وكــم طــال يــاغيثى اشْــتياقُ حقولنــا

ومـــــــن قَبْـــــــلُ عنهـــــــا كُنْـــــــتَ لا تتـــــــأخرُ

وسَـــافَرْتَ حيـــث اللارجـــوعُ مخلـــدٌ

فهـــــل بـــــرؤك الـــــمَوْتُ الـــــذى منـــــه نَنْفِـــــرُ

وســافَرْتَ والأطفــالُ تســأل فــى أَســىً

متـــــى الجـــــدُّ يـــــا أمِّـــــى مـــــن الســـــوق يَحْضُـــــرُ

لقــد غــاب عنــا مــا عَهِــدْنا غيَابَــهُ

وقــــــد عادنــــــا شــــــوقٌ لحِلْــــــوَاهُ مســــــكرُ

وتبكيـك فـى الحقـل الخصـيب سـنابلٌ

لكــــــم كُنْــــــتَ تَرْعاهــــــا فتنمــــــو وتزهــــــرُ

وَأنَّــتْ سَــوَاقٍ كُنْــتَ فــى اللَّيــلِ خِلَّهــا

وفيهــــــا خريــــــرُ المــــــاء نــــــايٌ وكوثَــــــرُ

هــى الآن فــى صَــمْتٍ فقـد غـاض ماؤهـا

ومــــــن قَلْبهــــــا دَمْــــــعُ الأســــــى يتفجــــــرُ

وكــلُّ مكــانٍ فيــه دبــت خُطَــاكُمُ

يــــــئن ويَسْــــــتَحْي إذا سَــــــارَ آخَــــــرُ

ومـا زِلْـتَ فـى قلـب الصـحاب منـارة

وفــــى فِكْــــرِهِمْ نــــورا مــــدى الــــدهرِ يُنْشَــــرُ

... ...

أبــى والأســى شَــوْكٌ بحفــن خــواطرى

وقلْبِـــــــيَ بالأشـــــــجانِ والحُـــــــزْن يَقْطُـــــــرُ

أخاطـــب دهـــرى والأمـــانى كسِـــيرةٌ

ســـــــيوفُك مـــــــا زالـــــــت بنـــــــا تتنمَّـــــــرُ

كأنـــــكَ جبـــــارٌ ونحـــــن رعيـــــة

تـــــــدوم ونَفْنَـــــــى رَغْـــــمَ أَنَّـــــــكَ تغـــــــدرُ

وتَغْـــرِس ســـكينَ الـــردَى فـــى قُلوبنـــا

كـــــــأنَّ دمـــــــاء النـــــــاس عنـــــــدكَ عنْـــــــبرُ

وتَضْـــحَكُ إِنْ أَنَّـــتْ ضـــحاياك ســـاخرا

وتَشْـــــرَبُ مـــــن عمـــــرِ الحَزَانـــــى وتَسْـــــكَرُ

وإِنْ تعـــط سَـــعْدا فالشـــقاءُ لُبَابُـــهُ

وإن تَغْـــــرِسِ الأفـــــراح فـــــالحزن تثْـمـــــرُ

بأيـــديك ضـــاعت كُـــلُّ نَفْـــسٍ نَقِيـــةٍ

لَـــــــــدَيْكَ أمانيهـــــــــا زُجَـــــــــاجٌ مكسَّـــــــــرُ

خلايـــاك مـــن ذَوْب التنـــاقض كُوِّنَـــت

فَأَنـــــــتَ علـــــــى رغـــــمِ الثَّبـــــات تُغَيَّـــــرُ

فتزهـــر يومـــاً فـــى القُلُـــوب وفَجْـــأَةً

إذا سَـــــــرَّها الإزهـــــــار ألقـــــــاك تُقْفِـــــــرُ

تُيَسِّـــرُ حِينـــاً فـــى الأمـــور فَنَنْتشـــى

وَلكِـــــنْ مـــــع التيســـــير ينمـــــو التَّعَسُّـــــرُ

كـــأنَّ أمانينـــا وأطيـــافَ عُمْرِنـــاَ

تســـــير وفِـــــى صَـــــخرِ الـــــردى تتعثَّـــــر

مَتَـــى مِنْـــكَ تَنْجـــو فـــالقلوبُ ســـجِينةٌ

ومثْلـــــــكَ جـــــــلاد بهـــــــا يَتَنَـــــــدَّرُ

إذا كــان فــى المــوتِ انطــلاق فمرحبــاً

بـــــه مـــــن حيـــــاةٍ لـــــيس فيهـــــا تحـــــررُ

ويَحْكُمهَــا القَيْــدُ الــذى صــب نَـــارَهُ

علـــــى كُـــــلِّ قَلْـــــبٍ فـــــى الحقيقـــــة يبحـــــرُ

" قرية الصياغ " - 8 أبريل 1971م
مستقرّ ومستودَع والدى الحبيب،
صابر

إيقاعات غير منتظمة على باب الوجدان

القَلْـــــبُ لِلسِّـــــرِّ يـــــا حـــــواءُ قـــــد صـــــانَهْ

وأنـــــــت لم تســـــــتطيعى اليـــــــوم كتمانَـــــــهْ

لا تَحْســـــبى الشـــــعر فـــــى عَيْنَيـــــكِ أُغْنِيَـــــةً

تـــــوحِى إلى الشـــــاعر الهيمـــــانِ أَلْحَانَـــــهْ !!

أو تحسبِـــــــيهِ علـــــى نهـــــديكِ لؤلـــــؤة

تـــــزيح عـــــن قَلْبِـــــهِ الولهـــــانِ أشْـــــجانَهْ

أو تحسبِـــــــيهِ علـــــى خَـــــدَّيْكِ فاكهـــــةً

تـــــذوبُ فـــــى فَمِـــــهِ تُنْسِـــــيهِ أَحْزَانَـــــهْ

أو تحســـبيهِ علـــى كَفَّيـــكِ جـــوهرة

فـــــؤادُهُ مـــــن ضـــــياها نـــــال تَحْنَانَـــــهْ

أو تحسبِـــــيهِ عناقيـــداً منظمـــةً

تُهْـــــدَى إليـــــك وينســـــى الشـــــعر أكْوَانَـــــهْ

وإنمـــا الشـــعر آفـــاقٌ مغلفـــةٌ

بالصِّـــــدْقِ والصِّـــــدْقُ فـــــى أرْجائهـــــا زَانَـــــهْ

نُطِـلُّ منهـا علـى المجهـول مختبِـئـًا

فـــــى حَانـــــةِ الغَيْـــــبِ يَسِـــــقْى الكُـــــلَّ بهتانـــــهْ

نطـير فيهـا إلى " اللاوعـى " يرشـدنا

وَحْـــــيْ الشـــــعورِ ومـــــا نَسْـــــطيع كِتْمانَـــــهْ

هنـاك فـى جُـزُرِ الأحـلام مهبطنـا

حيـــــث الـــــرؤى بثيـــــاب الطهـــــر هيمانـــــهْ

والظـــلُّ . والماء..والأشـــجار خاشـــعةٌ

للحـــــب. والحـــــب يُهْـــــدِى الكُـــــلَّ تيجانـــــهْ

والليـــلُ ، والصـــمتُ والأحـــلامُ ســـاجدةٌ

حيـــــث الصـــــفاءُ غـــــدا للكـــــل ســـــلطانهْ

والقلـبُ والـنفسُ فـى نـورِ الهـوى سَـبَحا

وأفْـــــرغ الكـــــل بعـــــد السَّـــــبْح أحْزَانَـــــهْ

والـــرُّوحُ فـــى الأفـــق المســـحورِ ســـابحةٌ

غنـــــت نشـــــيدَ الخلـــــود العَـــــذْب فَيْنَانَـــــهْ

والســـحرُ والنَّـــايُ والأَضْـــوُاء فـــى دمِنـــا

تُحْيـــــى الليـــــالى ويغـــــدو العُمْـــــرُ ريحانَـــــهْ

والسِّـــرُّ يُســـكَبُ فـــى أرْواحِنـــا عطِـــراً

والخلـــــدُ مـــــن قبـــــلُ فـــــى أعْمِاقـــــهِ صـــــانهْ

لشـــاطئ النُّـــور قـــد ســـارت مواكبنـــا

حيـــــــث المبـــــــاهجُ والأحْـــــــلام ريَّانَـــــــهْ

عـــرائسُ الجِـــن فـــى أنْحائـــه انتشـــرت

تَمُـــــــوجُ فـــــــى لُجَّـــــــةِ الأَسْـــــــرار عُريانَـــــــهْ

السُّـــور لـــيس ســـدوداً فيـــه مُحْكَمَـــةً

حتـــــــى وإنْ ذَهَبـــــــاً كانـــــــت فســـــــجانَهْ

هنـــاك حيـــث جَـــوَادُ الـــنفس منطلِـــقٌ

بـــــــلا حـــــــدودٍ وصـــــــار الكـــــــونُ بســـــــتانهْ

هنـــاك حيـــث عـــبيرُ النـــورِ أرْدِيَـــةٌ

تختـــــــال فـــــــى عِطْرِهـــــــا الأَرْواحُ مُزْدَانَـــــــهْ

الـــوَرْدُ .. والفُـــلُّ. والأزْهـــارُ فـــى يـــدنِا

قيثـــــــارةٌ رتلـــــــت للقَلْـــــــب أَلْحَانَـــــــهْ

وتَعْـزِف الـريح "سـيمفونيةً " رقصـت

فـى سـحرها قِـيَمُ الإنسـان هيمانـهْ

ومـارِدُ الشَّـر فـى حضـنِ الـردى رقَـدَتْ

أنْفاسُـــه وهـــي للطغيـــان صَـــدْيَانَهْ

والخـوفُ أشـباحُه عنـا قـد ابتعـدت

وشَـيَّدَ الأَمْـنُ فـى الأَعْمـاقِ سـلطانهْ

عقـاربُ الكـونِ عـن دَوْراتهـا وقفـت

ليـدفنَ الـزمنُ المحـدودُ عنوانـهْ !!!

وقـد تـداخلتِ الأشْـياء وامتزجـت

فالصـــبحُ كالليـــلِ كالأسْـــحار ســـهرانَهْ !!!

وفـى الفـراغِ تلاشـت كُـلُّ فاصـلةٍ

وفـى الجحـيم رمـى التوقيـت شـيطانَهْ !!!

فـــــالثلجُ فـــــى الصـــــيفِ لم يَفْقِـــــدْ تماسُـــــكَهُ

وفـــــى الشـــــتاءِ زهـــــورُ الـــــروضِ رَيَّانَـــــهْ

وفـــــى الخريـــــفِ ريـــــاحُ الأُفـــــقْ عـــــاطرةٌ

وفـــــى الربيـــــعِ ثمـــــارُ الحَقْـــــل وَسْـــــنانهْ

ووِحـــــدةُ الكـــــونِ مـــــن أغلالهـــــا انطلقـــــت

وحطمـــــت قُمقَـــــمَ التحديـــــد جَذْلانَـــــهْ !!!

والكُـــــلُ يعشـــــق إنســـــانيةً حضـــــنت

أعماقُهـــــا النُّـــــورَ.. كانـــــت قبـــــلُ عُمْيانَـــــهْ

والكُـــــلُّ ينســـــخ مـــــن شُـــــريانهِ قلمـــــاً

يَخُـــــطُّ وسْـــــطَ سِـــــجل الخُلْـــــدِ إحْسَـــــانَهْ

والكُـــــلُّ أفْـــــقٌ يُضَـــــوِّى كلمـــــا انطلقـــــت

منـــــه التَّسَـــــابيحُ والأَلْحـــــانُ : ســـــبحانهْ

فـــذلك العـــالَمُ السِّـــحْرِيِّ عالَمُنـــا

القَلْـــــبُ شـــــاد مـــــن الإحْســـــانِ بنيانـــــهْ

... ...

القَلْـبُ لِلسِّـرِّ يـا حـواءُ قـد صـانَهْ

وأنـــــت لم تَسْـــــتطيعى اليـــــوم كِتْمانَـــــهْ

فـــأطْفئى جَـــذْوة الإغْـــراء وانطلقـــى

فـــى هـــدأة الصـــمت يـــا حـــواءُ ريحانَـــهْ

فلـيس قلبـى كقَلْـبِ النـاس مملكـةً

محـــــدودةً : وعليهـــــا أنـــــت ســـــلطانَهْ

ولـيس عمـرى كَعُمْـرِ النـاس مرحلـةً

تَمُـــرُّ ثُـــم يُعـــدُّ المـــوت أكْفَانَـــهْ

فالقَلْـبُ مثـل فضـاءِ الكـونِ مُتَّسـعٌ

بـــلا فـــراغٍ وصـــار الشـــعرُ جدرانَـــهْ

والعُمْـرِ فـى الحِـسِّ.. لا فيمـا تُحَطِّمُـه

منـــــا السِّـــــنُونُ وتُلْقِـــــى الكُـــــلَّ فـــــى الحَانَـــــهْ

... ...

فـى عـالم الـذرَّة المجنـون قـد صُـهِرت

أنْفَاسُـــــــــنا فعَبـــــــــدْنَا فيـــــــه شـــــــيطانَهْ

وعالمُ النُّـورِ فـى دَرْب الـدجى احتضـرت

أنْفاسُـــــــه وأمـــــــات الليـــــــل أَلْحَانَـــــــهْ

وهالــةُ الحَــقِّ تحــت الباطــل انــدثرت

والخَيْـــــر أفنـــــى الـــــردَى المحمـــــومُ أقْرانَـــــهْ

شــريعةُ الغــاب أمْسَــتْ رَمْــزَ عالمنــا

للإثـــــم والـــــدمِ والإغـــــواء صـــــديانهْ

ولـيس يُفْنـى.. كمثـلِ الظُّلْـمِ مَـن ظَلَمَـوا

ولـــــيس يُبْقِـــــى كمثْـــــلِ العـــــدلِ أعْوانَـــــهْ

فكيـــف تـــوقظ يـــا حـــواءُ عـــاطفتى

قيثـــــــارةُ الحُـــــــب وهـــــــى اليـــــــومَ وسْـــــــنانَهْ

والنـــاى أخرســه الحُـــزْنُ الـــذى نسـجت

أشْـــــــبَاحُه مـــــــن هنـــــــاء القَلْـــــــب أكْفَانَـــــــهْ

وفـــى فمـــى البْكُـــر أنقـــاضٌ لأغنيـــة

نامـــت علـــى شـــفَتيَّ اليَـــومَ أسْـــيَانَهْ

ويـــوم تهْـــبط يـــا حســـناءُ عالَمَنـــا

ســـــــيوقظ الشـــــــاعر البحَّـــــــار وُجْدانَـــــــهْ

وتحْضـــنُ السِّـــحْرَ فـــى عَيْنيَـــكْ مهجتُـــه

وتُصْبِـــــــحُ الـــــــرُوحُ بعـــــــد اليـــــــبْسِ فَيْنانَـــــــهْ

هنـــاك يلقـــى بـــدرب الخلـــد قبلتُـــه

ومـــــــن عبـــــــابِ الهـــــــوىَ يســـــــتاف أوْزَانَـــــــهْ

القاهرة 1971/7/25م

ثلاثُ أُغْنياتٍ للشِّراع

(1)

يـــا شـــراع الرجـــاء رِفْقًـــا بنفســـى

إنهـــــــا الآن نَهْـــــــبُ طُوفـــــــانِ يَـــــــأْسِ

ثَـــوْرَةَ المـــوج مـــا خشـــيتُ ولكِـــنْ

كـــــلُّ مـــــا أخشـــــى أن تُبـــــدِّدَ شمســـــى

وريـــاحُ المَـــغِيبِ تُطْفِـــى شُـــموعى

وضـــــجيجُ الغـــــروب يَقْتُـــــل هَمْسِـــــى

وسمـــومُ الظَّـــلامِ تُـــرْدِى صـــباحى

وأفـــــاعى الشـــــكوكِ تَقْتُـــــل حِسِّـــــى

وتـــلال الغيـــومِ تَحْجُـــب أفْقِـــى

وليـــــالى الأســـــى تُبـــــدِّدُ أُنسِـــــى

ورؤى خـــــاطرى تَصِـــــير ســـــراباً

والأمـــــــــانى الحِســـــــــانُ تُلْقَـــــــــى بـــــــــرمسِ

ولَهيـــــبُ العـــــذاب يَحْـــــرِق قَلْبْـــــى

ويـــــــــوارِى جمـــــــــالَ يَـــــــــوْمى وأمْســـــــــى

والمـــــــزاميرُ والشـــــــموعُ وباقـــــــاتُ

زهـــــــــورى وكـــــــــلُّ إغْـــــــــراء كأسِـــــــــى

كـــلُّ مـــا أخشـــى أن أَرَاهـــا رمـــاداً

وظَلاَمـــــــاً يطيـــــــل مـــــــن ليـــــــل يأْسِـــــــى

عنـــــدما يُنْســـــخُ الصـــــباح غروبـــــاً

هـــــل ســـــيمحو الغـــــروبَ طـــــولُ التأسِّـــــى..؟

(2)

يـــا شـــراع الرجـــاء لســـتُ أَخـــافُ الْـــ

.. مَـــــوْت لَكِـــــنْ أخـــــافُ مَـــــوْتَ شـــــعورى

والأعاصـــيرُ لَســـتُ أخشـــى قواهـــا

كـــــلُّ مـــــا أخشـــــى أن تَمُـــــوتَ زُهـــــورى

لَسـتُ أرجـو الأمـانَ فـى الشـطِّ لَكِـنْ

أتمنـــــــــى أن لا تجِـــــــــفَّ بحـــــــــورى

فليثُـــرْ موجُـــك العنيـــفُ ويَعصـــفْ

لـــــيس يمحـــــو مـــــنَ الحيـــــاة ســـــطورى

رَغْـــمَ أنـــى اهتـــززت مثلَـــكْ لَكِـــنْ

لَـــــنْ تمـــــص الريـــــاحُ ســـــحر عـــــبيرى

... ...

أنا كـالبحر يـا شـراعى عميـقٌ وَمَلـيءٌ بـألف أَلْـفِ غُـرورِ

وتدبُّ الحياة فـى داخـل الصـدْ رِ انْطلاقا يُذيب ثَـلْج العصـور

وبأعمـــاق خـــاطرى أَلْـــفُ كنـــزِ

سَـــــخِرَت مـــــن كنـــــوز كـــــل البحـــــورِ

إن مرآتـــــيَ الصـــــغيرة نفســـــى

أبصـــــــرت بـــــــؤرةَ الوجـــــــود الكـــــــبيرِ

... ...

أيهـــا البحـــرُ إن تحـــدِّثْك نَفْســـى

فحـــــــديثُ النفـــــــوسِ أشـــــــهى سمـــــــيرِ

إن يكُـــنْ فـــى رياحِـــك الهـــوجِ كِبْـــرٌ

فأنـــــــا نفـــــــس كبريـــــــاءِ الـــــــدهورِ !!!

إن يكُـــنْ مخلـــب الريـــاح قويًّـــا

فبـــــــأفقْى تَطِـــــــيرُ كـــــــلِّ النســـــــورِ !!!

إن تكُـــنْ مَزَّقَـــتْ نســـيجَ شـــراعى

لم تُمَـــــــزِّق نســـــــيجَ قلبـــــــى البصـــــــير !!!

إن يكُـــنْ أفْقُـــكَ الخضـــيبُ فَســـيحاً

فبـــــــذاتى تَمُـــــــوجُ كُـــــــلِّ العُصـــــــورِ !!!

لــك مهمــا اتســعت ســورٌ ولكِــنْ

دوحــــةُ الــــنفس مــــا لهــــا أيُّ سُــــورِ !!!

أَنْــتَ مهمــا انطلَقْــتَ تبــدو ســجِيناً

وأنــــا الســــيفُ إن يَعُوقُــــوا مــــرورى

فأنــا العْقــلُ والزمــانُ وحــادى

الركــــب فــــى موكــــبِ الحيــــاة الجَسُــــورِ

(3)

يــا شــراع الرجــاء قلبــى يُغَنِّــى

إذْ تهادَيْــــتَ وسْــــط آفــــاقِ ظَنِّــــى

لســتُ أشْــدُو لرؤيــة الشــطِّ لكِــنْ

للصُّــــمود الفــــتيّ أسْــــكُبُ لَحْنــــى

رُبَّمــا لم أصــلْ ولكِــنْ عزائــى

أَنَّ إصْــــرارى فــــوق ضَــــعفِ التمنِّــــى

ربمـــا يغـــرقُ الســـفينِ ولكِـــنْ

لم يَـــزَل مِجْـــدا فـــى بِـكفِّـــى يُغَنِّـــى

إن تَكُـــنْ حطَّمَـــتْ مَجَـــادِيفي الـــريحُ

فـــإنىِّ عَبَـــرْتُ إعْصَـــارُ وَهْنِـــى

هـــذه أيهـــا الشـــراع حيـــاتى

ثـــورةٌ وانِطلاقـــةٌ وتـــأنٍّ

وإبـــاءٌ ... وصـــرخةٌ ... ووثـــوبٌ

وفـــداءٌ ... وعـــزةٌ ... وتَغَـــنٍّ

جـــزرٌ كلُّهـــا خَطَـــرْتُ عليهـــا

فبـــدت هالـــةً بـــأغْوار عَيْنـــى

إنهـــا رحلـــةُ الحيـــاة صـــعابٌ

وشـــرودٌ ... ولَيْـــلُ هَـــمٍّ وحُـــزنِ

إنهـــا خَمْـــسٌ بعـــد عِشْـــرين غابـــت

وقطـــــــارُ الكفـــــــاح مـــــــا غـــــــابَ عَنِّـــــــى

إنْ تَكُـــنْ أدمـــتِ الصـــخور كِيـــانى

فمآســـــــــى الحيـــــــــاةِ قـــــــد حَرَّرَتْنـــــــى

لم أَكُـــن فـــى الحيـــاةِ ظـــلاً ولكِـــنْ

كُنْـــــــتُ نـــــــبضَ الحيـــــــاةِ فـــــــى أيّ ركـــــــنِ

فِـــيَّ مـــا فـــى الحيـــاةِ مـــن أَلْـــفِ عيـــبٍ

وصـــــــــــوابٍ ... وحـــــــــــيرةٍ ... وتجَـــــــــــنِّ

طيلـــةَ العُمْـــرِ فـــى ارتحـــالٍ وحِـــلٍّ

زاديَ النـــــــــايُ والأغـــــــــانى ودَنِّـــــــــى

أُسْـــكر الـــروحَ بـــالرحيقِ إذا مـــا

دَبَّ فيهـــــــا القُنُـــــــوطُ حتـــــــى تغنِّـــــــى

لم أصـــل بعـــدُ للشـــواطئ رغـــم

الرِّحْلـــــة الكـــــبرى فـــــى عبـــــاب التمنِّـــــى

... ...

يـــا شـــراع الرجـــاء قلبـــى يغنـــى

إنْ تهاديـــــــتَ وسْـــــــطَ آفـــــــاق ظَنِّـــــــى

لم يَـــزَلْ موجـــك العنيـــفُ يُـــدَوِّى

غاضـــــبا ... هـــــادراً ... ليثْـــــأَرَ مِـنـــــى

إننـــى رغـــم عمـــق جـــرح الليـــالى

سأصُـــــدُّ الريـــــاح عـــــن بـــــاب أَمْنِـــــى

وأصـــوغُ الحيـــاة أحْلـــى نشـــيدِ

وأميـــــت الأســـــى بـــــأرْوع لَحْـــــنِ

قـــد بـــدا الشـــاطئ الصـــغير ولكِـــنْ

شـــــاطئُ السِّـــــرِّ غـــــاب عنـــــكَ وعنِّـــــى!!!

القاهرة - 1973/9/1م

حبيبنا الوحيد

اتُبْتَرُ الرحلةُ يا أبى بسيف هذه النهايَةْ ؟

وهل هيَ النهايةُ التى تَعُودُ خَيلُها لساحة البداية ؟

وفى منارةِ القلوب ينبُتُ الصبار يا أبى العزيزْ

والملح نبضُها وزادُها مِنَ الأشْجان ! ! !

والحُزنُ قد عَّودَنا لكَثْرة الأحزانْ

أن نشرب المر ولا نبوحْ ! ! !

فَحُزنُنا كليلنا طويلْ

وقَلْبُنا كخَطْونا نحيلْ

وزادُنا من الشعور لا يقاوم الرحيلْ

وكان من قبل فَسِيحًا كالوجودْ

منطلقا ولا تَحُدُّه حدودْ

وكُنْتَ يا أبى العزيز مَرْفأ الوصولْ

بين يديك من عوادى الدهرِ كُنا نختبئْ
لقَلْبك الندى كنا نلتجئْ
وأنتْ تزرع الأملْ
فى نبضنا الوجِلْ

... ...

كُنْتَ إشارةَ المرورْ
لساحة الآمال يا حبيبنا الوحيدْ
وأنت فى عُيونِنا فى كل لحظة جديدْ
تود أن يَتُوه عن زمانك الأجَلْ
حتى نَصِلْ
لِمَا نُريدْ
وأنتَ أنتَ لم تَزَلْ
رغم قضائك الأجَلْ
حبيبنا الوحيدْ
حبيبنا الوحيدْ
حبيبنا الوحيدْ

1971/4/7

المسافر فى سنبلات الزمن
الرؤية والأداة

بقلم د/ حسين على محمد " رحمه الله "

حينما نقرأ قصيدة " المسافر فى سنبلات الزمن " نحس أننا أمام شاعر جسور يمتلك الرؤية ويمتلك الأداة . لديه ما يقوله فى سهولة ويسر ، وفنية عالية .

وتمضى فى قراءة الديوان فترى أن ما أحسسته كان صادقا ، ولا يخامرك الشك فى أن هذا الشاعر كانت تنتظره الأرض طويلا ليعبر عن طموحاتها وإحباطاتها. وأشواقها لغد أكثر نصاعة وأمنا

وسكينة . بعد أن امتلأت بالأبناء الجوف الذين غنوا للجلادين ، ومشوا فى الدروب الغائمة يبشرون بالظلام قائلين : إن الداء يسرى فى نخاع الشجرة وكان يراودهم الحلم – المأساة : متى تسقط الشجرة؟ فيلقون بها إلى النار،ويكتبون الشعر وهم يصطلون بنيران أمهم الخضراء !!! .

وكانت الأرض المسلمة تولى وجهها شطر ربها حالمة ؟

الحلم صعب التحقيق . والمعادلة مستحيلة ، الحلم الكونى الإسلامى .

شاعر يلتصق بالأرض يعبر عن همومها ، وينطلق من حزنها وحزنه ومعاناتها ومعاناته ، فى نصاعة عقيدة وإشراقة بيان .

شاعر يعى ويتمثل أن الكلمة لم تخلق عبثا لقد كانت أول كلمة نزلت على محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ .

وأقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ سيسأل الله عن الكلمة ، والشعراء غير واعين يدحرجون الكلمات على الطرق فتختلط الحروف بالدماء وتغيم الرؤية"

فأين الشاعر الذى نبحث عنه ؟؟

... ...

هذا شاعر أنبتته الأرض ، فعشقها ، ونلمح هذا العشق الصادق فى مواضع كثيرة من هذه المجموعة الشعرية .

صوتكِ ينشلنى من قاع الجُبِّ

يحملنى فوق جواد الريح

يسقينى صوت الحَق السارى فوق جناح الرؤيا

يرفُض أن تتشرنق فى أفْراح القيا...

... أصداءُ الكذبِ السائلِ من ثوبى المصبوغِ

... بزيف دماء الذئب

وحينما يغنى الأرض عشقه ، لا يكون مجرد صوت بعيد غائم فى الخارج المدان بل من الداخل . حيث الامتزاج والانصهار حيث يصير الاثنان الشاعر والوطن شيئا واحدا .

أنادِى عليكْ

وأنتَ بقلبى انطلاقُ الأمانى

وأنتَ بأُفقِي ظِل الزمانِ

وأنتَ انتفاضةُ روحى

وذاتِي شمس تُغَرِّدُ فى شاطئيكْ

إن النداء ليس من الخارج ، إنه معاناة المعدن الصلب الذى يعانى ويقاسى ولا ينهار ، فيخرج من كل غارة أصلب عودا ، فلا تقضى عليه الحرائق ولا تلقى به إلى جب الفناء عواصف الحقد ، وقيود الحصار ، ورصاص الخيانة ، لم يقتل الوطن أبداً بل يبقى صوته الداعى إلى الأمل والصمود تيارا يتسرب إلى القلب فيمده بالصمود رغم المثبطات .

وتلاشت كلُّ الأصوات الغائمة من الساحة

لم يبْقَ سوى صوتكِ يَنْشلنى من قاع الجب

يسقينى صوت الحَق السارى فوق جناح الرؤيا

يجتاح سدودَ الغَيْب

يفْتَحُ كل خزائنِ هذا العالم بين يديّْ

يزرع ظلَّك فى تربة قلبى

فتحلِّقُ كلُّ الأكوان بجفْنَيّْ

إن هذا الوطن هو الذى أعطى العالم خلاصهُ ، وفجـر ينـابيع الخير ، وهو الذى حمل السيف دفاعا عن القيم النبيلة ، ومن هنـا بدأ التاريخ ، وبدأ العطاء المادى والمعنوى لكل أرض .

أُنادِى عليكْ

وأعْرِف أَنِّى نَهلْتُ ضيائيَ من مُقْلتيكْ

وأعْرِف أنكَ ما هنتَ يومًا

وما هان سيفك فى راحَتيكْ

وما صار موجك سُمًّا

فكلُّ التواريخِ شَبَّتْ على ساعديكْ

أنادِى عليكْ

وأعشق فى خَطْوك الكبرياءْ

فكلُّ السفائنِ تَجْرى إليكْ

وكلُّ المنارات فى ناظريكْ

وكلُّ اشتياقِ المفازات للريِّ جاثٍ لديك

وكل الحدائق بنت يديك

لكن الجـو يغـيم أحيانـا وكلمـات الشـاعر تصـير أكثـر حـدة كالسكين الذى ينكأ الجراح فيجعلها تنزف بعد أن كنا نظـن أنهـا قد اندملت .

يقول من قصيدته " نقوش على جدار الصمت "

وقد سئمنا الانتظار والوعود والصلاة فى بيادر الحواة

ولم تَزَلْ وئيدةً خُطَاكِ

وكلُّ ذرةٍ تئن من توقف الـمَسِيرْ

وكلُّ معولٍ ينادِى أيهذا الكفِّ : أين قبضتكْ ؟

وكل روضةٍ تنادِى طالبَ الثمارِ أين سلتكْ ؟

وكل غلةٍ تنادِى حان موعد الحَصَاد أين... أين منجلُكْ؟

وأنت يا حبيبتى

أميرةٌ تَغْرق فى سباتِها العميقْ

تَحْلُم بالسكون فى ظلالِ كرمة النجاةْ

حصانُها من الخشبْ

وسيفُها من الحطبْ

ولا تريد غير أن يقال يا أميرة العربْ

فارسُكِ العملاقُ أحْدث العَجَبْ ! ! !

سيكون الحكم متسرعا إذا لم تنظر إلى تاريخ كتابـة القصـيدة وهو مطلع عام **1973**م ، حيث كانت مصر تعانى مخاضها الألـيم وحيث كان ما يسمى بشبح اللاسلم واللاحرب يُخيِّم علـى المكـان ،

وسيناء محتلة ، ومثقفو هذا البلد المنكوب ، وعماله ، وفلاحوه ، ورجاله ونساؤه ، يبحثون عن الخلاص حائرين .

وهذه الأبيات السابقة تكشف عن الحيرة ، ومحاولة البحث عن طريق بينما الظلام يملأ الدروب.

نستطيع أن نلمح وراء تكوينات رؤية شاعرنا " صابر عبد الدايم " رؤية حضارية إسلامية ؛ وهل كانت منابع الإسلام غير الحضارة الكونية ؟

حينما ظهر الشعر الحر بوصفه خطوة طبيعية فى تاريخ الشعر تلائم عصرنا فى سرعته ولهاثه ونزقه ، واحتدامه ، وثورته ، وصخبه اتجه شعراؤنا إلى التراث الأجنبى وموروث الحضارات القديمة يستعيرونه ويتكئون عليه فى محاولة إعادة تشكيل العالم الشعرى الجديد الخاص بكل منهم .

فوقعوا من حيث لا يدرون أسرى الأساطير الفرعونية والبابلية والآشورية والفينيقية ، واليونانية .

وحينما وجد المد الإسلامى طريقه – رأينا بعض شعرائنا – منذ منتصف السبعينات يتجهون إلى التراث الإسلامى يستنطقونه، ولكنهم سقطوا بين محاولة "الاستنطاق" العقلية ، والهويات الغامضة ، واتجه بعضهم لرموز غير شائعة ، مما باعد بين تجاربهم والمتلقين .

... إن هذه الرؤية الحضارية فى شعر " صابر عبد الدايم " نلمحها تتشكل من خلال ثلاثة خيوط :

الخيط الأول :

المعجم القرآنى،فى مثل قوله فى قصيدة " الفزع الأكبر ".

والطُّورْ

وكتابٍ مسطورْ

فى رَقٍّ منشورْ

والبيتُ المعمورْ

والسقفِ المرفوعْ

والبحرِ المسجورْ

والشعْبِ المقهورْ

والقدسِ المشطورْ

والأقصى المهجورْ

قد جاء الأمر وفار التنورْ

والعالَمُ يَغْرقُ فى الديجورْ

وقوله :

فسماوات العصر انشقت

والأرض أَرَاها قد مُدَّتْ

" ألقت ما فيها وتخلت"

والأنجم فى قَلْب الإنسان انكدرت

وجبالُ الأَحْلام تَسُيَّر " كالِعْهن المنفوشْ "

والناسُ من ' الفزع الأكبر ' مثل فَرَاشٍ مبثوثْ

وقوله :

تركَبُ فلك الإيمان وتَعْبُر طوفان الديجورْ

مجراها باسم الله ومُرْساها

تُصغِى للصوت القادم من لدنِ الملإ الأعلى

" فاسلك فيها من كل زوجين اثْنَيْن وأَهْلَكْ

إلا من سبق عليه القول "

وفى قصيدة " إيقاع الزمن القادم "

ورأيت نداوة صَوْتِكِ فى بَحَّة صوت الضعفاء

" تالله لقد آثرك الله علينا "

(تالله لقد آثرك الله علينا)

وفى قصيدة (المنفى داخل الوطن التى كتبها الشاعر عام **1970** يقول :

(والعَصْر)

(إن الإنسان لفى خُسْر)

إلا من وصَّى بالحَق وحارب من أجْلِكِ يا مصرْ

وفى قصيدة " العناق فى موسم العودة " .. يقول

"وسيناء تنبُتُ بالدهن " يَخْطُر فيها الجَمَالْ

الخيط الثانى :

" التراث الإسلامى بمواقفه وشخصياته وأماكنه"

ففى هذه المجموعة الشعرية ستلحظ مواقف : الهجرة، أسماء فى بيت الزوجية، نهاية عبد الله بن الزبير – الفتح الإسلامى لبلاد الهند والسند – الصراع بين أبناء البيت الأموى على الحكم – مقتل محمد بن القاسم الثقفى – الطوفان – عبور موسى – التيه – والحوار بين موسى والخضر – يوسف وملك مصر – يوسف وإخوته – الفزع الأكبر .

وستلتقى بهذه الشخصيات : محمد ، موسى ، عبد الله ابن الزبير ، أبو بكر ، يوسف ، الحجاج ، أسماء – الشيطان ، زليخا إلخ .

وستشهد هذه الأماكن وقد امتزجت بالشخوص والمواقف والواقع ، غار ثور ، مكة ، المدينة ، الطائف ، الديبل ، الملتان ، جبل الطور ، البيت المعمور ، القدس ، الجودى ، الوادى المقدس، طوى .

الخيط الثالث :

الصور والتشكيلات النابعة من الوجدان المسلم الحضارى – ولنتأمل اللوحات الأسلوبية التالية :

* عرش الله – فلك الإيمان – طوفان الديجور – كنز العارفين – أصلاب التكاثر .

ملقياً فى قبضة النيران ذاتى

فإذا النيران فى ذاتى اشتهاء ووضاءه

عرس السماوات ، فاتحا كل المدائن ، فجر النبوءات – اللؤلؤ المكنون – " من قصيدة المسافر فى سنبلات الزمن " .

* جب المأساة – الجب ديون وقناه – صوتك ينشلنى من قاع الجب .

صوت الحق – جناح الرؤيا– سر البقرات السبع– ووحوش البيد تخطف منسأته – الحق اقتحم الساحة كبر واستغفر ، فى شريانى كلمات المصحف تهدر نهراً من نار وضياء .

أجرت من فيض القرآن بصحراء رؤاهم

أنهارا وسحائب رضوان وأمان

والأغصان تُفتِّح أعْيُنها

تَنْشُرُ أجْنِحة الخير وتَغرس بَسْمَتَها فى الآفاقْ

* أما مصادر الشاعر التى يستمد منها صُوَره ورموزه ، فهو يستمدها من التراث القديم والمعاصر والأساطير التى تمتزج باللاشعور ومن الطبيعة .

أما أكثر الصور شيوعاً فهى التى يستمدها من القرآن الكريم؛ كما وضحنا فى الفقرة السابقة ، وقصص النضال والبطولة فى

تراثنا من خلال الشخصيات المتميزة الواردة فى القرآن الكريم كموسى فى " إسَّرافات من سفر التكوين والنبوءة "

ويوسف فى " إيقاع الزمن القادم "

والشخصيات التى لعبت دوراً خطيراً فى تاريخنا الإسلامى كالبطل محمد بن القاسم الثقفى " فاتح الهند والسند " فى " مشاهد من ملحمة العشق " وذات النطاقين فى " أسماء الثور والعطاء والتحدى " .

* والتراث الشعرى القديم أحد المصادر التراثية الخافتة التى تلمحها فى هذا الديوان من خلال أبيات تسربت فى قصيدة " مشاهد من ملحمة العشق والبطولة ، تضئ الحدث الدرامى وتساهم فى إبرازه ؛ والكشف عن جوانبه ، فهو يصور الصراع الدائر على ساحة الواقع المتناقض ، ويتساءل فى شاعرية ثائرة .

من أين يمر الموتى الأحياء ؟ ويجيبه صوت التاريخ الصادق ونبوءة الواقع الأمل .

من هذا المنعطف المحموم المتمرد

" تحل دماء المسلمين لديهمُ " ويحرم طلع النخلة المتهدلُ !!!.

وهذا البيت من قصيدة الكميت بن زيد الأسدى التى مطلعها.

ألا هـــل عَـــمٍ فـــى رأيـــه متأمِّـــلُ

وهـــــل مُدْبِـــــرٌ بعـــــد الإســـــاءةِ مُقْبِـــــلُ ؟

والمراءون الذين ينصبون شباك زيفهم ونفاقهم على كل النوافذ ويقفون أمام كل باب وعلى كل مائدة يذمون السابقين الذين مدحوهم ويمدحون الحاضرين الذين لم يعرفوهم !!!

يصور الشاعر هؤلاء موتى برغم أنهم أحياء ويطلون على العالم من شرفة النفاق والزيف ، وهذه الشرفة قائمة فى بيت التاريخ وممتدة فى الأزمنة الآسنة المتخلفة .

والأحياء الموتى من شرفة هذا البيت يطلون

وبـــــدا الصـــــباحُ كـــــأن غرتـــــه

وجْـــــــهُ الخليفـــــــة حـــــــين يُمْتَـــــــدَحُ !!!

* أما التراث المعاصر فيستمد الشاعر منه بعض الجوانب التى تخدم رؤيته دون جناية على القصيدة

ففى قصيدته المبكرة " من فوق جبل المشنقة " المكتوبة عام 1970 يقول :

فنهضْتُ ثم خَلَعْتُ سُورَ السوق ثم صرخْتُ لا ... لا أنت حُرة

وبرغمهم حتى إذا جاءوا بفيل أدْخَلُوه ثُقب إبْرة !!!

وعلى الثرى وقفوا وكان ذراعُهم عند المجرة !!!

أو أنهم حَبَسوا ملايين الجمال بقَلْبِ صرة

لن يسلبو من معصميكِ سوار عزك أي مرةْ

فهذه الأبيات تتكئ على جزء من شعر ؛ توفيق زياد المناضل من قصيدة " أهون ألف مرة " التى يقول فيها :

أهون ألف مرة

أن تدخلوا الفيل بثقب إبرْة

وأن تصِيدوا السمك المشوي فى المجرة

أهون ألف مرة

من أن تميتوا باضطهادكمُ وميض فكرة

وتحرِفونا عن طريقنا الذى اخترناه قَيدْ شعرةْ (1)

وقد يلجأ الشاعر د . صابر عبد الدايم إلى التضمين فى محاولته لاسترفاد التراث المعاصر محافظا على النص ، واضعاً إياه بين قوسين ففى قصيدة " المنفى داخل الوطن " ..... يقول عنوان كتابى الأول " وقفة عابدين "

حيث الصم الواقف والكلمات رصاص يقتل أنفاسه

"لم يخلقنا الله عقارا "

" لن نستعبد بعد اليوم "

والسطران الأخيران من القول المأثور لأحمد عرابى فى وقفة عابدين

---

(1) (ادفنوا أمواتكم وانهضوا) مجلة الهلاك عدد أكتوبر 1969م ص 146- 147 .

وفى قصيدة (الفزع الأكبر) يلجأ شاعرنا إلى بيتين من شعر حافظ إبراهيم .

إن حظـــى كـــدقيق فــوق شــوك بعثــروهْ

ثـــم قـــالوا لحفـــاة يــوم ريــح اجمعــوهْ

ومن الملاحظ على شاعرنا فى استرفاده لتراثه أنك لا تحس بغربة النص التراثى ؛ بل تحس به جزءا من صميم تجربة الشاعر الشعرية

أما الأساطير التى تمتزج باللاشعور ، فإنك لا تلمحها تيارا فى الديوان . ولكنها صور متناثرة فى القصائد ، تساهم فى تكثيفها وإضامتها .

تأمل هذه الصور : أغرقت كل الجبال الشمِّ خيلى

رفرفت أجْنِحة الخيل على وجهى

طائرا بالحوت من جب الأمانى

ناصبا عرْس السماوات بقاع البحر فى خِصْبِ المواسم

بانيا كل الحضارات التى فوق ضلوعى شيدت كبرى الملاحم

* ديوان " المسافر فى سنبلات الزمن "

* موسى يقطف من عين الشمس الأسرار

تنبُتُ فى كفيهَ الأقمارْ

وعصاه تَشُقُّ البحرَ وتَجْهَلُ لغة الإبحارْ

موسى مسجون فى قلب فضاءْ

الريح تحاصِره ، وتحاوِرُه الأنواء

خمدت فى عَيْنيه النارُ وجف الإيقاعْ

تتوهج زهرة نارْ

* ديوان " إشراقات من سفر التكوين والنبوءة "

* أما الصور التى يستمدها من الطبيعة فيمنحها معنى جديداً ، وتكويناً جديداً لتكون حقا " كائنات صابر عبد الدايم " المنبثقة عن جدل تجربة القصيدة .

وسوف نكتفى بثلاثة عشر مفردة من مفردات الطبيعة وردت فى قصيدة " المسافر فى سنبلات الزمن" مع مصاحباتها اللغوية ويوضحها الجدول التالى:

مفردات الطبيعة	المصاحبات اللغوية فى رؤية الشاعر
1- ظلام	الرحم الكونى
2- آفاق	تظلل
3- الدماء	تروى
4- الجبال	تغرق
5- المعبر	ذات الشاعر أو الصوت المتحدث فى القصيدة
6- القبر	تناجى الذات المتحدثة
7- المفازات	
8- الخيل	تئد غرور المعتدين
9- الزمن	الناخر أصلاب التكاثر
10- الجذور	السالبات الأرض أحلام البراءة

مفردات الطبيعة	المصاحبات اللغوية فى رؤية الشاعر
11- الصخر	راحلا فيه
12- النيران	قبضة تلقى فيها الذات
13- السماوات	عرس
14-الحضارات	تبنى فوق الضلوع

ومفردات الطبيعة فى شعر صابر عبد الدايم تأخذ دلالات جديدة تساهم فى تشكيل رؤية الشاعر كما وضحت فى النموذج السابق وهى كلها فى قصيدة واحدة " الجدول المذكور " نستطيع أن نعثر على هذا التشكيل اللغوى فى باقى القصائد .

والشاعر يسيطر على أدواته ، وتحس فى قصائده بالتلقائية والبساطة وهما سمة كل فن عظيم يريد أن يضيف شيئاً له قيمته ودلالته . وبعد :

فنرجو أن تكون هذه المجموعة الشعرية على طريق الشعر الحضارى الذى يخطو خطاه نحو العالمية ، بإبراز خصائص هذه

الأمة المسلمة فى التصور والمعاناة ، والأمـل فـى غـد إسـلامى أكثـر نضارة .

إن المثبطات التى تكتنف مسيرة الشعر الحضارى كثيرة .

ولكن شعراً كشعر " صابر عبد الـدايم " قـادر علـى أن يحفـر مجراه ، ويحدد مساره

والله يوفق خطاه ويحقق آماله .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

ديرب نجم 10 من أكتوبر 1982حسين على محمد

محافظة الشرقية – مصر

فهرس القصائد

الصفحة	القصيـــدة
	الإهـــد ....
	الهويـــة ....
	المســــــافر فـــــى ســــــنبلات الــــــزمن ....
	إيقـــــــــاع الـــــــــزمن القـــــــــادم ....
	إشراقات من سفر التكوين والنبوءة..............
	قافلـــــــــــــة الغربـــــــــــــــا ....
	الفـــــــــــــــزع الأكبــــــــــــــــر ....

القصيـــدة	الصفحة
العنـــــاق فـــــى موســـــم العـــــود	
المســـــــــــــــــــــــــــــافر	
أســـــــئلة تبحـــــــث عـــــــن مرفـــــــ	
لـــــن يمـــــوت فـــــى عيوننـــــا النهـــــار	
كلمـــــــات علـــــــى طريـــــــق الحريـــــــ	
مـــــــن فـــــــوق حبـــــــل المشـــــــنق	
المنفـــــــــى داخـــــــــل الـــــــــوطن	
الكلمـــــــــــــــة والســـــــــــــــيف	

القصيـــدة	الصفحة
نقـــــوش علـــــى جـــــدار الصـــــمت ..... العـــــــــــــرس والـــــــــــــدموع ..... إيقاعات غير منتظمة على باب الوجدان ..... ثـــــــلاث أغنيـــــــات للشـــــــراع ..... حبيبنـــــــــــــا الوحيـــــــــــــد ..... المسافر فى سنبلات الزمن .. الرؤيـة والأداة دراسة بقلم / حسين على محمد	